الجمهورية الجزائرية الديمقر اطية الشعبية

وز ارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأ مير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسم الكتاب والسنة

السنة الثانية جذع مشترك - أصول الدين

السداسي الثالث

مطبوعة بيداغوجية في مادة

التفسير التحليلي

من إعداد الدكتور: عبد العزيز شلي

عنوان البريد المهني@Univ-emir.dz

السنة الجامعية 2024 / 2025 م

المقرر البيداغوجي وأهدافه التعليمية

المادة: تفسير تحليلي

السداسي: الثالث

عنوان الوحدة: الأساسية

محتوى المادة: تحتوي المادة على مقدمات متعلقة بمدخل مفاهيمي للتفسير والتأويل وأهمية التفسير ووجه الحاجة إليه وبيّنات المنهج المتبع في درس التفسير التحليلي.

ثم التفسير التحليلي لسورة النبأ في دراسة تفصيلية تبدأ بمقدّمات السورة، ثم النظر في الموضوع العام للسورة وتقسيم السورة لموضوعات فرعية؛ يدرس فيها سبب النزول والقراءات والغريب والمسائل الإعرابية والمسائل البلاغية والمعاني العامة ثم الهدايات القرآنية للاستهداء بها.

أهداف التعليم:

1- اكتساب القدرة على التمييز بين أنواع التفسير
2- اكتساب معرفة علمية تفسيرية متنوعة وشاملة
3- اكتساب القدرة العلمية التي تؤهل الطالب للتعامل مع التفاسير المختلفة
4- اكتساب الطالب لمنهجية البحث في التفسير التحليلي

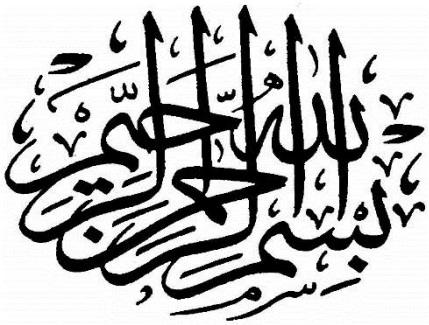
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وبعد: فالقرآن الكريم كتاب هداية للبشرية جمعاء ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾ الإسراء، وهو حجة الله البالغة على خلقه وهو الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الردّ وهو البحر الذي لا يدرك غوره ولا يحاط بغرره ولآلئه... ولذلك تحفّزت إليه العقول النّيرة واتّجهت إليه الهمم العالية بالنّظر والتّدبّر فلم تنفكّ جهود علماء الأمّة - على مرّ التاريخ - عن تفسيره وبيان معانيه للوقوف على ملامح إعجازه واستنباط هداياته وغرر أحكامه وحكمه واستخراج نوره للاستهداء به والاستجابة له لتتحقق الحياة لحامله لأنه روح، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ الشورى.

وعلى ضوء هذا أضع بين يدي طلبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية السنة الثانية جذع المشترك أصول الدين هذه المحاضرات، وهي جهد المقل، لتكون لهم عونا على تكوين رؤية معرفية ومنهجية لدراسة مادة التفسير التحليلي، ولتكون لهم القدرة على البحث فيه بالرجوع إلى أمهات مصادره ومراجعه والوقوف على العلوم التي يستمد منها المفسر تفسيره، وإدراك الأسس التي يبني عليها المفسر ترجيحاته، وبهذا تتكوّن لدى الطالب القدرة على القراءة العلمية الواعية وتحصل له ملكة التدبر والتأمل في كتاب الله عز وجل.

ومعلوم أن السهو والخطأ سمة غالبة على الإنسان وعليه فأنني أطلب من كل من وقف على هذه الورقات وتكرم بقراءتها، فرأى فيها ما هو مجانب للصواب أن يتصدق عليّ بملاحظاته.

والله سبحانه هو الهادي إلى الحق وإلى سواء السبيل وصلى الله على سيدنا محمّد.

المحاضرة الأولى

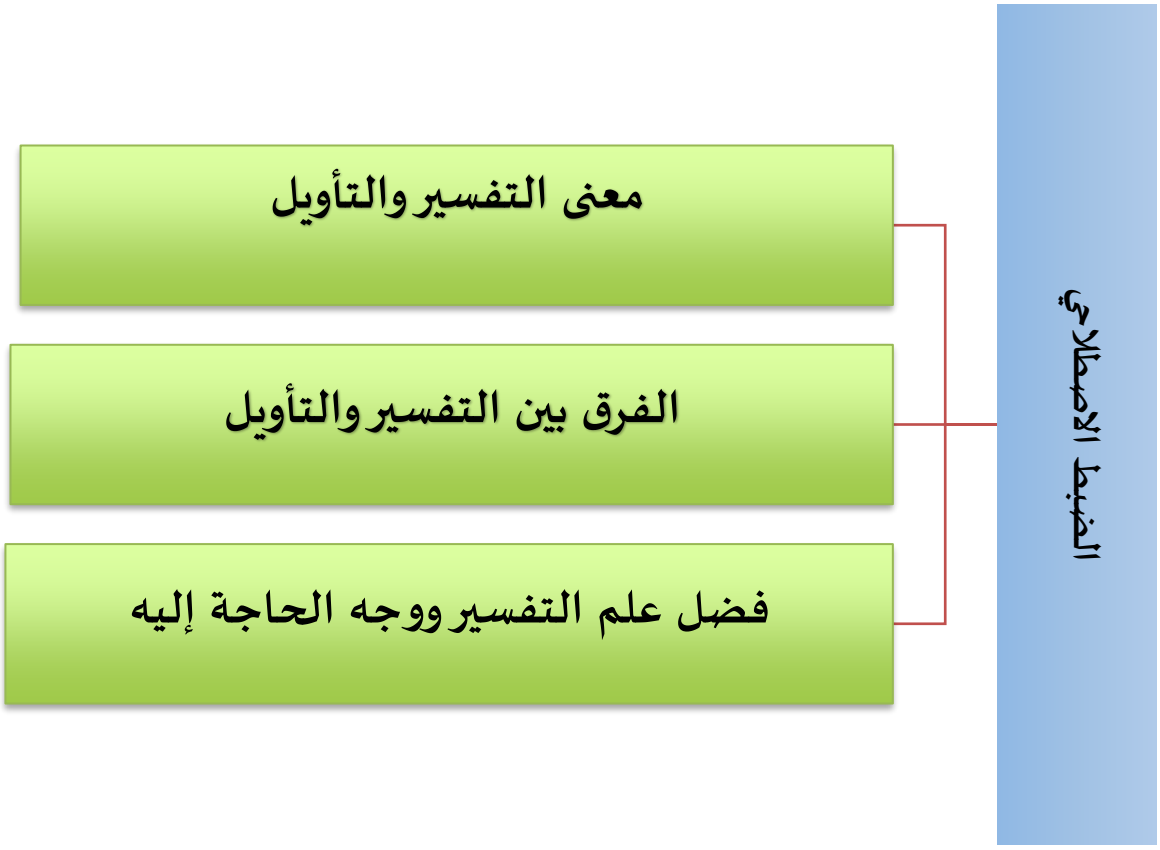

معنى التفسير والتأويل

ترجع معاني الألفاظ التي نعبر بها عن الأشياء إلى ثلاثة، قال ابن فارس[1]: (معاني ألفاظ العبارات التي يعبّر بها عن الأشياء، ومرجعها إلى ثلاثة وهي: المعنى، والتفسير، والتأويل. وهي وإن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة.

فأما المعنى فهو القصد والمراد. يقال: عَنَيْتُ بالكلام كذا أي: قَصَدتُ وعَمَدت...)

التفسير لغة:

يدور معنى كلمة تفسير حول معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أنّ الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها والسبب الذي أنزلت فيه وكأنه تسمية بالمصدر لأن مصدر (فعل) جاء أيضا على تفعلة نحو جرب تجربة وكرم تكرمة.

قال الراغب الأصفهانى: (السَّفْرُ: كشف الغطاء، ويختصّ ذلك بالأعيان، نحو: سَفَرَ العمامة عن الرّأس، والخمار عن الوجه، وسَفْرُ البيتِ: كَنْسُهُ بِالْمِسْفَرِ، أي: المكنس، وذلك إزالة السَّفِيرِ عنه، وهو التّراب الذي يكنس منه، والإِسْفارُ يختصّ باللّون، نحو:(وَالصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ) المدثر 34، أي: أشرق لونه، قال تعالى:(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) عبس38... والسِّفْرُ: الكتاب الذي يُسْفِرُ عن الحقائق، وجمعه أَسْفَارٌ، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا... ۝٥﴾الجمعة)[2] .

فالتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه وإطلاق للمحتبس عن الفهم به ويقال: فسرت الشيء أفسره تفسيرا وفسرته أفسره فسرا، والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال وبمصدر الثاني منها سمى أبو الفتح ابن جني كتبه الشارحة الفسر، وقال آخرون: هو مقلوب من سفر ومعناه أيضا الكشف.

وقد جاء استعمال كلمة التفسير في القرآن الكريم بمعنى الكشف والبيان كما هو وارد في الآية القرآنية الوحيدة في سورة الفرقان:﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ الفرقان، أي: بيانا وكشفا، قال الطبري: (وعنى بقوله ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانا وتفصيلا)[3].

---

[1] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها- ابن فارس (ت395هـ)- ص144. وأنظر: البرهان في علوم القرآن- الزركشي (ت 794هـ) - ج 2 ص 146.

[2] المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهانى (ت 502هـ)- ص 412. قال الأزهري: (فسر: ثَعْلَب عَن ابْن الْأَعرَابِي: الفَسْرُ: كشفُ مَا غُطِّيَ). تهذيب اللغة - الأزهري (ت 370هـ)- ج 12 ص 282.

[3] جامع البيان - ابن جرير الطبري - ج 19ص 267.

يقال: أسفر الصبح أي أضاء ... وإنما بنوه على التفعيل لأنه للتكثير فكأنه يتبع سورة بعد سورة وآية بعد أخرى.

وقال الراغب: الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول. ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: تفسرة وسمي بها قارورة الماء وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار فقيل سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح.

التفسير اصطلاحا:

للتفسير اصطلاحا تعاريف نذكر منها:

- التعريف الأول: قال الزركشي[1]: (التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ).
- التعريف الثاني: وعرفه صاحب مناهل العرفان[2] بقوله: والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.
- التعريف الثالث: للشيخ محمد الطاهر بن عاشور[3]: والتفسير في الاصطلاح نقول: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع.

ويمكننا الجمع بين هذه التعاريف فنقول: **التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه بقدر الطاقة البشرية.**

موضوع التفسير[4]: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه وما يستنبط منه، وبهذه الحيثية خالف علم القراءات لأن تمايز العلوم-كما يقولون- بتمايز الموضوعات وحيثيات الموضوعات.

وأما التأويل فمعناه:

لغة: لم يرد استعمال كلمة التأويل إلا في المقام الذي يعزّ فيه البيان، ويدق فيه الفهم، كالآيات المتشابهات والأحلام والرؤى والمصير المجهول.

فيدور معنى التأويل على معاني: الرجوع والعودة والتَّغيير والجَمَع والإِصْلَاح والتحري، قال الأزهري[5]:(...وأمّا (التَّأْوِيل)، فَقيل: من أوّل يُؤوِّل تَأْوِيلا، وثُلاثيه: آل يَؤول، أَي رَجع وَعَاد.

---

[1] البرهان في علوم القرآن - الزركشي (ت 794هـ) - ج 1 ص 13.

[2] مناهل العرفان في علوم القرآن- د/ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت1367هـ) ج 2 ص 3

[3] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور - ج 1ص 11.

[4] نفسه - ج 1ص 12.

[5] تهذيب اللغة - الأزهري (ت 370هـ)- ج 15 ص 327 وما بعدها.

قلت: أُلْت الشيءَ: جَمَعْتُه وأَصْلَحته، فكَأَنّ (التَّأْوِيل) جَمْع معانٍ مُشكلة بِلَفْظ وَاضح لا إِشْكَال فِيهِ.

وَقَالَ بعضُ العَرَب: أَوَّل الله عَلَيك أمرَك، أَي جَمعه. وَإِذا دَعوا عَلَيهِ قَالُوا: لا أَوّل الله عَلَيك شَملَك...ويُقال: تأوّلت فِي فلانٍ الأَجرَ، أَي تَحرَّيته وطَلَبتُه.

اللَّيث: التأوّل والتأويل: تَفسِير الكلام الَّذِي تَختلف مَعَانِيه، وَلا يَصح إِلَّا بِبَيَان غير لَفظه؛ وَأما قَوله تَعَالَى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ...﴾ الأَعرَاف 53، قَالَ أَبُو إِسْحَاق: مَعْنَاهُ: هَل ينظرُونَ إلاّ مَا يَؤول إِلَيْهِ أَمرهم مِن البَعث).

قال الزركشي[1]: (فأصله من الأوْل ومعنى قولهم: ما تأويل هذا الكلام؟ أي إلام تؤول العاقبة في المراد به كما قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ الأعراف 53.أي تكشف عاقبته.

ويقال آل الأمر إلى كذا أي صار إليه وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾ الكهف).

وأصله من المآل وهو العاقبة والمصير وقد أولته فآل أي صرفته فانصرف فكأن التأويل: صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني فمأخوذ من الأول وهو الرجوع والصيرورة، ومنه آلت إليه السلطة، أي: رجعت إليه، وقد وردت في القرآن الكريم فاستعملت مصدرا في قوله تعالى:﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ آل عمران، وقد وردت في آيات قرآنية أخرى، ولم يرد استعمال كلمة التأويل إلا في المقام الذي يعزّ فيه البيان، ويدق فيه الفهم، كالآيات المتشابهات والأحلام والرؤى، والمصير المجهول.

التأويل اصطلاحا:

عرفه ابن رشد بقوله: (ومعنى التأويل هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخلّ في ذلك بعادة لسان العرب في التجوّز من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عددت في تعريف أصناف الكلام المجازي) [2].

وعرفه أبو القاسم بن حبيب النيسابوري والبغوي والكواشي وغيرهم[3] بـ: التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط.

قال الزركشي[4]: قالوا: وهذا غير محظور على العلماء بالتفسير وقد رخص فيه أهل العلم.

---

[1] البرهان في علوم القرآن - الزركشي (ت 794هـ) - ج 2 ص 148.

[2] فصل المقال - ابن رشد الحفيد (ت 595هـ)- ص 32.

[3] البرهان في علوم القرآن - الزركشي- ج 2 ص 150. والموسوعة القرآنية - الأبياري - ج3 ص 50.

[4] المصدر نفسه ج 2 ص 150.

وقال في موضع آخر: فأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور لأنه تأويل الجاهلين.

الفرق بين التفسير والتأويل[1]:

وإذا أردنا أن نعرف الفرق بين التفسير والتأويل رجعنا إلى القرآن نفسه فنجد أن لفظ التفسير ورد في كتاب الله مرة واحدة في معرض الردّ على المشركين وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ الفرقان.

أما كلمة التأويل فقد وردت في الكتاب العزيز في مواضع متعددة وفي سياقات مختلفة:

أ- فقد ورد فيما يتعلق بالمتشابه: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ **آل عمران.**

ب- **وورد فيما يتعلق بتأويل الرؤيا:** ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴿١٠٠﴾﴾ يوسف، وقوله تعالى:﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ يوسف.

ت- في تأويل الأعمال وبيان ما يقصد منها: قال تعالى حاكيا عن العبد الصالح يخاطب موسى عليه السلام:﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ الكهف،وبعد أن شرح له ذلك شرحا تامّا قال:﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ الكهف.

ث- وردت كلمة تأويل في صحة ما ينبئ به القرآن: وأنه أمر محقّق الوقوع قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ ...﴿٣٩﴾﴾ يونس، وإذا تأملنا هذه الآيات الكريمة وإطلاقها نستطيع أن ندرك الدقة في الفرق بين التفسير والتأويل من تعبيرات القرآن نفسها فالمواضع التي عبر فيها بالتأويل هي في الحقيقة بحاجة إلى الروية وإعمال الفكر وبحاجة إلى عملية عقلية ولا أدلّ على ذلك من استعمال كلمة التأويل بجانب المتشابه وتأويل الرؤى...ندرك من هذا أن استعمالات القرآن كما يشير الحسّ اللغوي، التفريق بين التفسير والتأويل وإليه ذهب كثير من الكاتبين القدامى كما يعرف ذلك من كلامهم ولقد أدرك الراغب الأصفهاني هذا الفرق بفهمه الدقيق للقرآن فلقد كان رحمه الله على قدر عظيم من المعرفة اللغوية الدينية فذكر في مقدمته فروقا بين التفسير والتأويل منها :

1- أن التفسير أعمّ وأن التأويل أخصّ، وأنّ هذه الخصوصية أتت من جهتين:

---

[1] إتقان البرهان في علوم القرآن - الدكتور فضل عباس - ص 184 وما بعدها.

- ا) إن التفسـير بيان غريب الألفاظ...، أما التأويل: فهو بيان الجمل ومعانيها... وهذا ما يؤكد ما سبق أن قلناه: إنّ التأويل بحاجة إلى الدقة وإعمال الفكر.
- ب) إن التأويل: أغلب اسـتعماله في الكتب الإلهية، وهذه الكتب بحاجة إلى أن يتروى فيها أكثر من غيرها فلا يلقى فيها الكلام جزافا بخلاف التفسير فإنه يستعمل فيها وفي غيرها.

2- ومنها أن التفسير ما يختص بالرواية والتأويل يختص بالدراية...

فضل علم التفسير[1]

التفسير من أجلِّ علوم الشريعة وأرفعها قدرًا، وهو أشرف العلوم موضوعًا وغرضًا وحاجة إليه، لأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، ولأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية وإنما اشتدت الحاجة إليه؛ لأنّ كل كمال ديني أو دنيوي لا بدّ وأن يكون موافقًا للشّرع، وموافقته على العلم بكتاب الله.

قال الراغب الأصفهاني[2]: (أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن وتأويله، وذلك أن الصناعات الحقيقة إنما تشرف بأحد ثلاثة أشياء: إما **بشرف موضوعاتها**، وهي المعمول فيها، نحو أن يقال: الصياغة أشرف من الدباغة لأن موضوعها - وهو الذهب والفضة - أشرف من جلد الميتة- الذي هو موضوع الدباغة وإما **بشرف صورها**: نحو أن يقال: طبع السيوف اشرف من طبع القيود .. وإما **بشرف أغراضها** وكمالها، كصناعة الطب - التي غرضها إفادة الصحة - فإنها أشرف من الكناسة- التي غرضها تنظيف المستراح، فإذا ثبت ذلك، **فصناعة التفسير قد حصل لها الشرف من الجهات الثلاث:**

وهو أن **موضوع المفسر** كلام الله تعالى: الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضله.

وصـــورة فعله: إظهار خفيات ما أودعه مُنزِلُهُ من أســـراره (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)، **وغرضه:** التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقة التي لا فناء لها.

ولهذا عظمَ الله محله بقوله: (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) قيل: هو تفسير القرآن).

وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجل أو آجل مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

---

[1] تفسير الراغب الأصفهاني - الراغب الأصفهانى (ت 502هـ)- ج1 ص36. والإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي- ج2 ص175.

[2] تفسير الراغب الأصفهاني - الراغب الأصفهانى (ت 502هـ)- ج1 ص36.

وجه الحاجة إلى التفسير

إنّ نهضة الأمة وتوثّبها إلى المعالي وتحفّزها إلى العمل الصالح وانطلاقها في الدعوة إلى الله لا يكون إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونُظُمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري، ومعلوم أن العمل بهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره والوقوف على ما حواه من تعاليم ونصح وإرشاد، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه البارع المعجز، وهذا لا يتحقّق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدلّ عليه ألفاظ القرآن وهو ما نسميه بعلم التفسير، فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح البشر وإنقاذ الناس وإعزاز العالم، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ سورة ص.

فالحاجة إلى التفسير تكمن في البيان للتذكر والاعتبار ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ليفوز الأفراد والجماعات بخيري العاجلة والآجلة. وليكن (هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن وتعاليم القرآن وحكمة الله فيما شرع للناس في هذا القرآن على وجه يجتذب الأرواح ويفتح القلوب ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله وهذا هو الخليق باسم التفسير وفيه يساق الحديث إذا تكلمنا عن فضله والحاجة إليه[1]).

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقاني – ج 2 ص 6.

المحاضرة الثانية

عناصر المحاضرة الثانية

- مفهوم التفسير التحليلي
- أهمية التفسير التحليلي
- خطوات منهج التفسير التحليلي

مفهوم التفسير التحليلي

التفسير التحليلي (مركب وصفي) يحتاج لبيان جزأيه قبل تعريفه.

أ - التعريف: التفسير التحليلي مكوّن من كلمتين:

الكلمة الأولى: التفسير: وهو في اللغة :الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ الفرقان أي :إيضاحًا وبيانًا.

الكلمة الثانية: "التحليلي":

والتحليل في اللغة: ح ل ل: حَلَّ العقدة: فتحها فانْحَلّت[1] ، وهي مادة تدلّ على فكّ العقدة، والتحليل يطلق على إرجاع الشيء إلى عناصره، وتحليل الجملة :بيان أجزائها ووظيفة كلٍّ منها.

ب -تعريف التفسير التحليلي اصطلاحا:

عرفه الدكتور مساعد الطيار فقال: التفسير التحليلي[2] : أن يعمد المفسّر إلى تفسير الآيات حسب ترتيبها في السورة، ويذكر ما فيها من معانٍ وأقوال وإعراب وبلاغة وأحكامٍ وغيرها ممّا يعتني به المفسّر.

ويمكنني أن أقول: التفسير التحليلي هو أن يتتبع المفسّر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله ويبيّن ما يتعلق بكل آية من: وجوه القراءات و من معاني ألفاظها، و وجوه البلاغة فيها وإعرابها وصرفها، وأسباب نزولها إن وجدت وما يتعلق بها من هدايات وأحكام وحِكمٍ.

أهمية التفسير التحليلي[3]

إن المنهج التحليلي في التفسير: منهج يغوص في أعماق النص القرآني؛ كلمة وسببا ومناسبة وقراءة وإعرابا وبلاغة ومعنى واستخلاصا للفوائد والهدايات، فهذا الأسلوب يوصل الباحث إلى الهدف الذي يسعى من أجله، وهو كشف اللثام عما بعُد فهمُه من النص وإزالة الالتباس، وإظهار الأسلوب المعجز للقرآن، ومناقشة الآراء وترجيح الصائب منها بالدليل، عبر خطوات منهجيه

---

[1] انظر مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر الرازي - ص 79.

[2] د/ مساعد الطيار ملتقى أهل التفسير- بتصرف

[3] د/ أياد مظفر الرمضاني ملتقى أهل التفسير.

منضبطة، وربط النص القرآني بالواقع لتوجيه جوانب الحياة وفق منطلقات قرآنية، وكل المناهج التفسيرية الأخرى، إنما تنهل ممّا سطّره متّبعو هذا المنهج في تفسير القرآن.

خطوات منهج التفسير التحليلي

للتفسير التحليلي خطوات منهجية على الباحث الالتزام بها وهي:

الخطوة الأولى: بين يدي السورة ويتضمن هذا المبحث النظر في: فاتحة السّورة المدروسة وتسميتها وعدد آيها وفضلها وكونها مكية أم مدنية وسبب نزولها وزمن نزولها.

والهدف من هذه الخطوة هو: جعل هذه المباحث كالمقدمة للسورة المدروسة لتكوين تصور شامل لها.

الخطوة الثانية: المناسبات وتتضمن هذه الخطوة: مناسبة السورة لما قبلها ومناسبتها لما بعدها، والمناسبة بين افتاحية السّورة وخاتمتها وأما المناسبة بين وحدات السورة الفرعية، وبين آي السورة فانها تدرس في موضعها.

والهدف من هذا المبحث: التأكيد على تناسب سور القرآن وتناسب الآيات فيما بينها.

الخطوة الثالثة: القراءات: وهو مبحث هدفه الوقوف على القراءات الواردة في السورة مع تمحيص الصحيح من الشاذ منها وهو مبحث يساعد في بيان تنوع المعاني القرآنية.

الخطوة الرابعة: موضوع السّورة العام وموضوعاتها الفرعيّة:

والهدف من هذه الخطوة - واعتمادا على الخطوات السابقة - : تدبّر السّورة لاستخراج مقصدها العام وهو مبحث يحتاج إلى طول تأمل ونظر وتدبّر، ثم استخراج المقاصد الفرعية للسورة والوصول إلى ضبط المناسبة بينها.

إن تقسيم السورة إلى موضوعات فرعية- بعد معرفة الموضوع العام- يساعد على دراسة:

1- غريب القرآن: وبهذه الخطوة نزداد تعمّقا وتدبّرا بالنظر في الألفاظ القرآنية للوقوف على معانيها و(أنّ أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللّبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كلّ علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ لمتفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها

كالقشـــور والنوى بالإضـــافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضـــافة إلى لبوب الحنطة)[1].

2- أسباب النزول.

3- القراءات القرآنية

4- الإعراب: إعراب مواضع خاصة مؤثرة في المعنى لتكون عونا على تدبر الآية القرآنية.

5- القضـايا البلاغية: والتي تبرز أسـرار الأعجاز البياني في القرآن الكريم، وعلوم البلاغة ثلاثة: المعاني والبيان والبديع.

6- المعنى الإجمالي للآيات: ونبحث فيه المسـتخلص من كتب التفسـير والمدعم بالسـنة الصحيحة والآثار الثابتة وذلك لكل وحدة فرعية من وحدات السـورة القرآنية لنصـل في النهاية إلى فهم السورة كلها.

7- اسـتنباط الهدايات القرآنية (الأحكام والحكم) وتنزيلها على الوقائع والأحداث بقصـد معالجة الواقع وتوجيهه بتوجيهات القرآن الكريم.

[1] **المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهانى (ت 502هـ)- ص 54.**

من مصادر التفسير التحليلي

- جامع البيان لابن جرير الطبري (ت 310هـ)
- ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي(ت 606 هـ)
- ومعالم التنزيل للبغوي (ت 516 هـ)
- وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت 774 هـ)
- والمحرر الوجيز لابن عطية(ت 542 هـ)
- وفتح القدير للشوكاني (ت 1250 هـ)
- وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (ت 951هـ)
- وروح المعاني للآلوسي (ت 1270 هـ)
- ومن تفاسير المعاصرين: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ت 1393 هـ/ 1973 م)
- مجالس التذكير للشيخ عبد الحميد ابن باديس الجزائري (ت 1940) وغيرهم .
- المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)
- مفردات القرآن - عبد الحميد الفراهي الهندي (المتوفى: 1349هـ)
- تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)- ابن الجوزي (ت597هـ)
- البرهان في علوم القرآن - الزركشي **(ت 794هـ)**
- جامع البيان في القراءات السبع - أبو عمرو الداني (ت444هـ)
- النشر في القراءات العشر- ابن الجزري، (ت 833 هـ)
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج- د وهبة الزحيلي

المحاضرة الثالثة

عناصر المحاضرة الثالثة

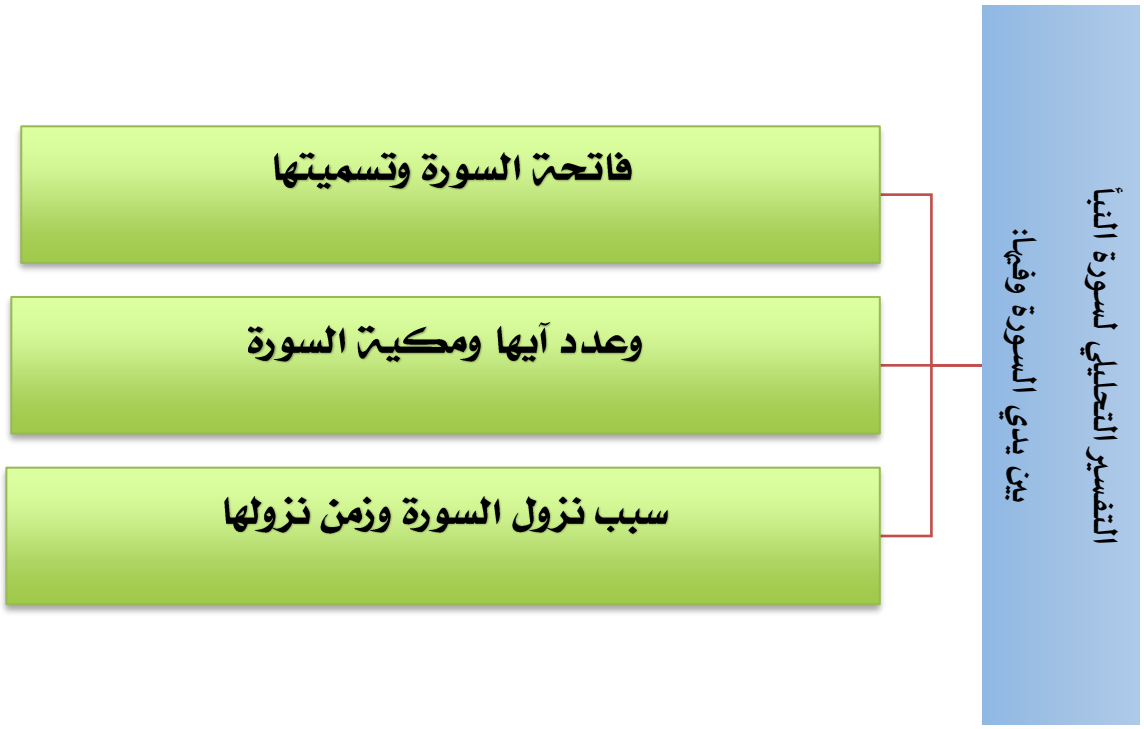

بين يدي السّورة

1- فواتح السّور[1]:

افتتح الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السّور عنها:

فمن السّور القرآنية ما افتتح بالثناء نحو: (الحَمدُ لِلَّهِ) و(تَبَارَكَ) و(سُبْحَانَ)و(سَبِّحِ) .

ومنها ما افتتح بحروف التهجي نحو: سورة البقرة(ألم) و آل عمران (ألم) و الأعراف(ألمص)

ومنها ما افتتح بالنداء نحو: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) و(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) و(يَا أَيُّهَا الناس) ...

ومنها ما افتتح بالجمل الخبرية نحو: (يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ) و(بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ) و(سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا)

ومنها ما افتتح بالقسم نحو: (وَالصَّافَّاتِ)و (وَالذَّارِيَاتِ)و (وَالطُّورِ)و (وَالنَّجْمِ) ...

ومنها ما افتتح بالشرط نحو: (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) و(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ)و(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)

ومنها ما افتتح بالأمر نحو: (قُلْ أُوحِيَ) و(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) و(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ...

ومنها ما افتتح بالدعاء في ثلاث سور: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ)و (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ)و (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)

ومنها ما افتتح بالتعليل في موضع واحد وهو: (لإِيلافِ قُرَيْشٍ).

ومنها ما افتتح بالاستفهام: (هَلْ أَتَى)و(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)و(هَلْ أَتَاكَ)و(أَلَمْ نَشْرَحْ)و(أَلَمْ تَرَ) و(أَرَأَيْتَ)

فتلك ستّ سور ... ومن هذه السور سورة النبأ .

2- تسمية السورة

سميّت هذه السّورة في أكثر المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة:

الاسم الأول: سورة النبَأ

لوقوع كلمة (النَبأ) في أولها لافتتاحها بقول اللّه تبارك وتعالى:﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾، وقد ورد هذا الاسم في:

أ/ تفاسير القرن الرابع الهجري:

تفسيرمجاهد**(ت 104هـ)**، و تفسير مقاتل بن سليمان**(ت 150هـ)**، **ومعاني القرآن للأخفش- (ت 215هـ)**، تفسير التستري سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري **(ت 283هـ)**، وجامع البيان للطبري **(310هـ)** ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج **(ت 311هـ)** وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم **(ت327هـ)** و تأويلات أهل السنة للماتريدي **(ت333هـ)** وبحر العلوم للسمرقندي **(ت 373هـ)** وتفسير القرآن العزيز ابن أبي زَمَنِين المالكي **(ت 399هـ)**...

[1] البرهان في علوم القرآن - الزركشي - النوع السابع في أسرار الفواتح والسور- ج 1ص 164- 181 .

ب/ كتب السنة:

صحيح البخاري- كتاب التفسير- باب: تفسير سورة النبأ.

الاسم الثاني: عمّ يتساءلون

وتسمّى سورة: عمّ يتساءلون لافتتاحها بقول اللّه تبارك وتعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ كما في:

أ/ التفاسير:

- كتاب فيه لغات القرآن - الفراء **(ت 207هـ)**: ومن سورة (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ).
- تفسير عبد الرزاق- أبو بكر عبد الرزاق بن همام اليماني الصنعاني**(ت 211هـ)**: سُورَةُ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ.

ب/ وفي كتب السنة:

ومن الأحاديث التي ورد فيها هذا الاسم:

- عن نافع عن ابن عمر: (أنه قرأ في المغرب بـ (يس) و (عم يتساءلون)[1] .

- عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله ما شيبك ؟ قال:(شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون و إذا الشمس كورت)[2] .

عن شقيق بن سلمة قال: جاء رجل يقال له نهيك بن سنان إلى عبد الله بن مسعود فقال: يا أبا عبد الرحمن أياء وجدتها أم ألفا من ماء غير آسن؟ فقال له عبد الله: أوكل القرآن قد أحصيت إلا هذه؟ قال: فقال: إني لأقرأ المفصل في ركعة. فقال عبد الله: هذا كهذّ الشعر، إن رجالا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ثم قال عبد الله: " إني لأعلم النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهن سورتين في ركعة، ثم قام عبد الله وأخذ بيد علقمة فخرج إلينا فقلنا: أخبرك بالنظائر؟ قال: نعم، العشرون الأول من المفصل منها: سورة من آل حم الدخان، نظيرتها عم يتساءلون " [3].

---

[1] مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الصلاة، ما يقرأ به في المغرب.

[2] نفسه - كتاب الصلاة، ما يقرأ به في المغرب.

[3] مستخرج أبي عوانة - باب في الصلاة بين الأذان والإقامة في صلاة المغرب وغيره - بيان إباحة سورتين وثلاثة في ركعة - المستدرك على الصحيحين- الحاكم النيسابوري قال: تفسير سورة عم يتساءلون- مصنف ابن أبي شيبة- كتاب الصلاة - ما يقرأ به في المغرب - شرح معاني الآثار للطحاوي- باب جمع السور في ركعة.- شعب الإيمان للبيهقي- الحادي عشر من شعب الإيمان وهو باب في الخوف من الله.

الاسم الثالث: سورة عم

وتسمى: (سورة عم) كما في تفسير القرطبي، أي دون زيادة: يتساءلون، تسمية لها بأول جملة فيها قال: **تفسير سورة عم وتسمى سورة النبأ**[1].

الاسم الرابع: المعصرات

وتسمى سورة (المعصرات): لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ النبأ.

الاسم الخامس: سورة التساؤل

وسورة (التساؤل) كما سماها أبو عمرو الداني لوقوع (يتساءلون) في أولها [2] .

والخلاصة: أنّ اسم السورة التوقيفي هو: سورة النبأ وهو الثابت في المصاحف.

3- عدد آيات سورة النبأ

عدد آيات سورة النبأ أربعون آية، وقيل واحد وأربعون آية؛ قال الإمام الداني: (وهي إحدى وأربعون آية في البصري، وأربعون في عدد الباقين اختلافها آية: (عذابا قريبا) عدّها البصري ولم يعدّها الباقون ...)[3] .

4- فضل سورة النّبأ

لم يرد حديث خاص في فضل سورة النّبأ وأنما ذكرت مع سور ذكر فيها من أهوال القيامة ومواقفها، فعن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله أراك قد شبت، قال:" شيّبتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون، وإذا الشّمس كوّرت "[4].

---

[1] الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ج 19 ص 169

[2] جامع البيان في القراءات السبع - عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ) - ص 319.

[3] البيان في عدّ الآي - الإمام الداني - ص 262 . كتاب عدد آي القرآن - أبو الحسن علي بن محمد التميي الأنطاكي (377هـ) - 650.

[4] أخرجه ابن حجر في المطالب العالية والترمذي في الجامع الصحيح والحاكم في المستدرك على الصحيحين ...
قال ابن حجر هذا مرسل صحيح، إلا أنه موصوف بالاضطراب، أخرجه أبو يعلى عن العباس بن الوليد وخلف بن هشام فرقهما كلاهما عن أبي الأحوص به. ورواه الترمذي في الشمائل من وجه آخر عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة قال: قالوا: فذكره بلفظ: " هود وأخواتها ".
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.
وقال الترمذي في الجامع الصحيح: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.
و قال الشيخ الألباني: صحيح، انظر حديث رقم: 3723 في صحيح الجامع- ج 1ص 604.

أ/ سورة النبأ مكية:

لأنها نزلت قبل الهجرة؛ قال الزركشي[1]: (اعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات:

أحدها: أن المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة.

والثاني: وهو المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة.

والثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة...).

وسورة النّبأ من السور التي نزلت بمكة فتكون: (**مكيّة** باتفاق قال صاحب غيث النّفع: مكية اتفاقا) [2].

وعدّت السورة الثمانين في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة المعارج وقبل سورة النازعات [3].

ب/ سبب النزول:

لم يرد سبب خاصّ بنزول سورة النبأ إلا ما رواه ابن جرير الطبري إذ يقول: (وذلك أنّ قريشا جعلت فيما ذكر عنها تختصم وتتجادل في الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإقرار بنبوته، والتصديق بما جاء به من عند الله، والإيمان بالبعث، فقال الله لنبيه: فيم يتساءل هؤلاء القوم ويختصمون. . . .)[4].

وبعدها قال :حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع بن الجراح، عن مسعر، عن محمد بن جحادة، عن الحسن، قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعلوا يتساءلون بينهم، فأنزل الله:(عم يتساءلون عن النبأ العظيم) يعني: الخبر العظيم[5].

ج/ زمن نزول سورة النبأ:

يفهم من بعض الآثار أنّ سورة النبأ نزلت في أول مبعث النبي صلّي الله عليه وسلّم ومن ذلك:

---

[1] البرهان في علوم القرآن - الزركشي (794 هـ) - ج 1ص 187.

[2] غيث النفع في القراءات السبع- الصفاقصي- ص1253.

[3] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور - ج30ص 5. وانظر: البرهان في علوم القرآن - الزركشي - ج 1ص 193.

[4] جامع البيان - ابن جرير الطبري- ج 24ص5 .

[5] نفسه - ج 24ص5.

أولا: قال صاحب اللباب في علوم الكتاب[1]:روى أبو صالح عن ابن عباس- رضي الله عنه- قال: كانت قريش تجلس لمَّا نزل القرآن فتتحدث فيما بينهم؛ فمنهم المصدّقُ ومنهم المكذّبُ به فنزلت (عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ).

ثانيا: جاء في التحرير والتنوير: (وفيما روي عن ابن عباس والحسن ما يقتضي أنّ هذه السورة نزلت في أوّل البعث، روي عن ابن عباس: (كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتتحدث فيما بينها فمنهم المصدق ومنهم المكذب به) فنزلت: عم يتساءلون.

وعن الحسن لما بعث النبيء صلى الله عليه وسلم جعلوا يتساءلون بينهم فأنزل الله:(عم يتساءلون عن النبإ العظيم) النبإ: 1، 2 ، يعني الخبر العظيم)[2].

[1] اللباب في علوم الكتاب - ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت 880 ه)- ج 20ص92 .

[2] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور- ج 30 ص 5.

المحاضرة الرابعة

عناصر المحاضرة الرابعة

المناسبات في سورة النبأ

تمهيد

من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا تتنافر أجزاؤه، فالعلم بالمناسبة علم بمسالك الكشف عن انتظام مباني الآيات والسور واتساق معانيها، واتصال بعضها ببعض، ومسلك الكشف عن المناسبات هو النظر في أوجه الاتصال بين آي القرآن الكريم والوحدات الموضوعية العامة والفرعية في السورة القرآنية، والسورة القرآنية فيما بينها، للوقوف على أوجه الروابط التي تربط آي القرآن و وحداته الموضوعية وسوره القرآنية.

التعريف بعلم المناسبات

المناسبة لغة واصطلاحا:

أ/ المناسبة لغة:

يدور معنى كلمة (نسب) حول اتصال الشيء بالشيء وارتباطه واتصاله به لمشاكلته إياه، فقد جاء في معناها: ((نَسَبَ) النُّونُ وَالسِّينُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ قِيَاسُهَا اتِّصَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ، مِنْهُ النَّسَبُ، سُمِّيَ لاتِّصَالِهِ وَلِلاتِّصَالِ بِهِ. تَقُولُ: نَسَبْتُ أَنْسِبُ. وَهُوَ نَسِيبُ فُلانٍ، وَمِنْهُ النَّسِيبُ فِي الشِّعْرِ إِلَى الْمَرْأَةِ، كَأَنَّهُ ذِكْرٌ يَتَّصِلُ بِهَا؛ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي النِّسَاءِ. ... وَالنَّسِيبُ: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، لاتِّصَالِ بَعضِهِ مِن بَعضٍ)[1]. (وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي مشاكلة)[2]، (وَبَيْنَهُمَا (مُنَاسَبَةٌ) أَيْ مُشَاكَلَةٌ)[3].

ب / المناسبة اصطلاحا:

المناسبة في الاصطلاح هي: (ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة المباني)[4].

فعلم مناسبات القرآن: (علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق

---

[1] مقاييس اللغة - ابن فارس- ج 5 ص 424.

[2] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - الجوهري (ت 393هـ)- 1ص 224.

[3] مختار الصحاح - الرازي - ص309.

[4] البرهان في علوم القرآن - الزركشي- قال الزركشي: (قال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين)- ج 1 ص 36.

مطابقة المقال لما يقتضيه الحال)[1].

المقصد من علم المناسبة

هذا العلم جليل المقاصد دقيق المسالك؛ إذ مقصده البحث عن ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، ونفي الخلل الترتيبي الذي قد يتوهّمه من لا حظّ له في فقه القرآن يقصد بهذا العلم إبراز الصلات وبيان الارتباط بين الآيات فيما بينها وبين السور القرآنية فيما بينها فـ(فائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء)[2]،و(لأنّ أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)[3]، فقد حوى الذكر الحكيم من خبايا اللطائف والأسرار ما يدلّ عليها ترتيب آيه وسوره.

أهمية علم المناسبة [4]

إذ العلم (بعلم المناسبة) علم بمسالك الكشف عن انتظام مباني الآيات واتساق معانيها، واتصال بعضها ببعض، فيحسن الكلام حينما يرتبط بعضه ببعض وتتعانق معانيه، فـ(من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا)[5]، فمسلك الكشف عن المناسبات النظر في سياق الآيات للوقوف على الروابط التي تربط آي القرآن بعضها ببعض (والذي ينبغي في كل آية أن يبحث

---

[1] مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السّور- البقاعي(885 هـ)- ج 1 ص 142.

[2] البرهان في علوم القرآن - الزركشي- ج1ص 36.

[3] تفسير الرازي - فخر الدين الرازي (ت 606هـ)- ج 10 ص 110.

[4] ولا يضر علم المناسبات إنكار الشوكاني- رحمه الله- له، فهو يعتبره ضربا من التكلف، وأنه لا فائدة منه إذ يقول: " اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه؛ وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه حسبما ذكر في خطبته) - فتح القدير- الشوكاني- ج 1 ص 85. وأنظر: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات- أحمد بن محمد الشرقاوى سالم- ص4 بترقيم الشاملة الآلي. وقد أثبت في بحثه أن (الناظر في تفسير الشوكاني يشهد فيه نماذج عديدة ومتنوعة للمناسبات بين الآيات حيث أبرز العديد من وجوه الصلة بين الآيات) ص 85.

[5] البرهان في علوم القرآن - الزركشي (ت 774هـ)- ج 1 ص 36.

أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له)[1] فهو(علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله عزّ وجلّ لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه)[2].

مناسبة سورة النبأ لما قبلها وما بعدها

أولا: وجه تناسبها مع السّورة التي قبلها وهي سورة المرسلات

الوجه الأول: جاءت سورة النبأ شارحة ومفصلة ليوم الفصل الذي جاء مجملا في سورة المرسلات، قال السيوطي: وجه اتصالها بما قبلها: تناسبها معها في الجمل ففي تلك: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧﴾ المرسلات، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ المرسلات، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥﴾ المرسلات، إلى آخره... وفي عمّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ النبأ، إلى آخره... مع اشتراك هذه السّورة والأربع قبلها في الاشتمال على وصف الجنة والنار، ما عدا المدثر، في الاشتمال على وصف يوم القيامة وأهواله وعلى ذكر بدء الخلق وإقامة الدليل على البعث، وأيضاً في سورة المرسلات: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤﴾ المرسلات، وفي هذه السّورة: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ النبأ. إلى آخره ... فكأنّ هذه السورة شرح يوم الفصل المجمل ذكره في السّورة التي قبلها...)[3].

الوجه الثاني:

تناسب مطلع السّورة مع التهديد الذي تكرّر عشر مرات في سورة المرسلات في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ المرسلات وذلك على سبيل الالتفات.

قال صاحب البرهان في تناسب سور القرآن: أما مطلعها فترتب على تساؤل واستفهام وقع منهم، وكأنه وارد هنا في معرض العدول والالتفات وأما قوله قوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾

---

[1] البرهان في علوم القرآن - الزركشي (ت 774هـ)- ج 1 ص 37.

[2] نفسه - قال الزركشي: (قال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين)- ج 1 ص 36.

[3] أسرار ترتيب القرآن - السيوطي - ص146.

النبأ، فمناسب للوعيد المتكرّر في قوله تعالى:﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ المرسلات، وكأن قد قيل: سيعلمون عاقبة تكذيبهم[1].

ثانيا: وجه تناسب سورة النبأ مع السورة التي بعدها وهي سورة النازعات [2]

لما بيّنت سورة النبأ حال الكافر في قوله تعالى:﴿... وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ النبأ عند نظره ما قدّمت يداه ومعاينته من العذاب العظيم ما يراه، وبعد ذكر تفصيل أحوال وأهوال، أتبع ذلك بذكر ما قد كانت حاله عليه في دنياه من استبعاد عودته في أخراه وذكر هون ذلك عليه...فقال تعالى:﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ ﴾ النازعات، إلى قوله تعالى:﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ١١﴾ [3] أي: يستبعدون ذلك و يستدفعونه، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣﴾ النازعات، أي: صيحة، ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾ النازعات ، أي الأرض، قياما ينظرون ما قدّمت أيديهم ...ثمّ ذكر من قصّة فرعون وطغيانه ما يناسب الحال في قصد الاتّعاظ والاعتبار...

ثالثا: المناسبة بين افتتاحية السّورة وخاتمتها

لما تساءل المشركون في مطلع السّورة عن وقوع البعث بعد الموت على وجه الاستهزاء، مع استبعاد وقوع هذا اليوم العظيم الذي يقوم فيه الناس لربّ العالمين،﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥﴾ النبأ، جاء ختامها ذاكرا لهذا اليوم وما يكون فيه من ندامة الكافر وتمنيه أن يكون ترابا، قال تعالى : ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ النبأ.

---

[1] البرهان في تناسب سور القرآن - ابن الزبير الثقفي (627هـ-708 هـ) - ص 354 .

[2] البرهان في تناسب سور القرآن - ابن الزبير الثقفي (627هـ-708 هـ) - ص 366/355.

[3] سورة النازعات من الآية 1 إلى الآية 11.

المحاضرة الخامسة

عناصر المحاضرة الخامسة

موضوع السّورة العام ومواضيعاتها الفرعيّة

- موضوع السّورة العام
- الموضوع الفرعي الأول للسّورة من الآية الأولى إلى الآية الخامسة (1-5): تساؤل المشركين عن البعث وإنكارهم له.
- القراءات- الغريب

أوّلا: موضوع السّورة العام

موضوع السورة العام يدلّ على أنّ يوم القيامة الذي كانوا مجمعين على نفيه، وصاروا بعد بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في خلاف فيه مع المؤمنين؛ ثابت ثباتاً لا يحتمل شكاً ولا خلافاً بوجه، لأنّ خالق الخلق مع أنه حكيم قادر على ما يريد دبّرهم أحسن تدبير، بنى لهم مسكناً وأتقنه، وجعلهم على وجه يبقى به نوعهم من أنفسهم بحيث لا يحتاجون إلى أمر خارج يرونه، فكان ذلك أشدّ لألفتهم وأعظم لأنس بعضهم ببعض ، وجعل سقفهم وفراشهم كافلين لمنافعهم، والحكيم لا يترك عبيده وهو تام القدرة كامل السلطان يمرحون يبغي بعضهم على بعض ويأكلون خيره ويعبدون غيره بلا حساب، فكيف إذا كان حاكماً فكيف إذا كان أحكم الحاكمين، هذا ما لا يجوز في عقل ولا خطر ببال أصلاً، فالعلم واقع به قطعا ، وكل من اسميها واضح في ذلك بتأمل آيته ومبدأ ذكره وغايته[1].

وسورة النبأ ظاهر فيها إقامة الحجة على العالمين على إمكان البعث بدلالة خلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته وبالخلق الأول للإنسان وأحواله [2].

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- برهان الدين البقاعي - ج 21ص 189.

[2] ينظر: التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور- ج 30 ص 6.

الموضوع الفرعي الأول لسّورة النبأ [1]
من الآية الأولى إلى الآية الخامسة (1 / 5):
تساؤل المشركين عن البعث وإنكارهم له.

تمهيد

ذكر الله جلّ وعزّ خوض المشركين في شأن إنكار البعث، وسُؤالُ بعضهم بعضاً عن الرأي في وقوعه من عدمه، مستهزئين بالإخبار عن وقوعه، وقد هدّدهم الله جلّ وعزّ على استهزائهم بشأن البعث، وذلك أنّ قريشا جعلت- فيما ذكر عنها- تختصم وتتجادل في الذي دعاهم إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الإقرار والإيمان بالبعث، فصار الناس فيه فريقين: مصدّق ومكذّب، فقال الله لنبيه: فيم يتساءل هؤلاء القوم ويختصمون؟.

وقيل كان خوضهم في شأن القرآن.

آيات الموضوع الفرعي الأول

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ النبأ

القراءات

- الكلمة لأولى: ﴿عَمَّ...﴾

الأصل في ﴿عَمَّ﴾: الأصلُ فِي ﴿عَمَّ...﴾: عمَّا، فحذفت الألف اختصارًا (ومثله: (فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَاهَا) والأصل: فِيما، ومثله لِمَ، والأصل: لِمَا، وكذلك العرب تحذف ألف عَلَامَ يَذهَبُ، ولم يأت ذَلِكَ فِيْ القرآن...عن الكسائي، قَالَ: تَقُولُ العرب: لِمَ فعلتَ، ولِمْ فعلتَ، ولَمْ فعلتَ، ولِمَا فَعلتَ أربعُ لُغاتٍ)[2].

---

[1] التحرير والتنوير الشيخ - محمد الطاهر بن عاشور- ج 30 ص 6.

- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمجموعة من العلماء إشراف الدكتور مصطفى مسلم - ج 9 من الصفحة 4 إلى الصفحة 16 .

- مصاعد النظر في مقاصد السور - برهان الدين البقاعي - ج 3ص 151.

- التفسير المنير- الدكتور وهبة الزحيلي - ج 30ص 368.

[2] إعراب القراءات السبع وعللها- ابن خالويه (ت 603 هـ) - ص484.

و ﴿عَمَّ...﴾ مكونة من: ((عن ما) يتساءلون، فأدغمت النون في الميم، لأنّ الميم تشرك النّون في الغنّة في الأنف ... والمعنى عن أيّ شـيء يتسـاءلون، فاللفظ لفظ اسـتفهام والمعنى: تفخيم القصّة...)[1].

الوقف على (ميم عمّ): وقف القراء على (ميم عم) بالميم إلا ما كان من وقف يعقوب والبزي اللذان وقفا بهاء السكت، (قوله تعالى: (عَمَّ) وقف يعقوب، والبزي بخلاف عنهما (عمه) بهاء السكت، ووقف الباقون على الميم)[2].

- **الكلمة الثانية:** ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾

قرأ جهور القرّء بياء الغيبة وقرأ ابن عامر وحده بتاء الخطاب:«ذكر اخْتلَافهم فى سُورَة عَم يتساءلون قَوله : ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ قَرَأَ ابن عَامر وَحده :(كلا ستعلمون ثمَّ كلا ستعلمون) بِالتَّاءِ جَمِيعًا ... وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ بِاليَاء) [3].

الحجة في القراءة بالتاء (كلا ستعلمون ثمَّ كلا ستعلمون):

وهو وجه جائز على سبيل الالفات من الغَيبة إلى الخطاب(غير أنَّ التاء جائزةٌ إذ كانت العربُ ترجع من الغَيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغَيبة) [4]. قال أبو علي الفارسي: (والتاء على: قل لهم ستعلمون، ومعنى ستعلمون : ستعرفون ذلك مشاهدة وعيانا ...) [5].

- **الكلمة الثالثة:** ﴿كَلَّا﴾وهذا كلامُ وَعِيدٍ وفيه رَدعٌ وزَجْر أعني (كلَّا) وعند آخرين (كلا) هاهنا بمعنى حَقًّا سيعلمون)[6].

فائدة:

جاء في غيث النفع[7]: (وكَلَّا) معا يصح في الأول الوقف على ما قبله والابتداء به والوقف عليه والابتداء بما بعده والأول أحسن، وأما الثاني فلا يوقف عليه ولا يبتدأ به.

---

[1] معاني القرآن وإعرابه- الزجاج - ص 271.

[2] البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة - أبو حفص سراج الدين عمر بن زين الدين قاسم بن محمد بن علي الأنصاري النشار (ت 937 هـ) - ج 4 ص 228.

[3] السبعة في القراءات - ابن مجاهد - ص 668

[4] إعراب القراءات السبع وعللها - ابن خالويه (ت 603 هـ) - ص484.

[5] الحجة للقراء السبعة - أبو علي الفارسي (ت 377 هـ) – ج 6 ص 367.

[6] إعراب القراءات السبع وعللها - ابن خالويه (ت 603 هـ) - ص484.

[7] غيث النفع في القراءات السبع - الصفاقسي المقرئ المالكي (ت 1118هـ)- ص1253.

غريب القرآن

- ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾: اختلفوا في المقصود من النبأ على قولين:

القول الأول: أنه القرآن:

قال مقاتل بن سليمان: (فأنزل الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ يعني القرآن، كقوله: ﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧﴾ سورة ص، لأنه كلام الله تعالى قال: ﴿ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾)[1].

روى الطبري عن مجاهد: (في قول الله: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ قال: القرآن)[2].

قال ابن الجوزي:(﴿ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾:القرآن اختلفوا فيه فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر)[3].

القول الثاني: أنه البعث وهو الظاهر من دلالة السياق:

- روى الطبري عن قتادة: (عن النبإ ﴿ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾البعث بعد الموت، فصار الناس فيه فريقين: مصدّق ومكذّب، فأما الموت فقد أقرّوا به لمعاينتهم إياه واختلفوا في البعث بعد الموت)[4].

- و روى الطبري عن ابن زيد: (في قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾ قال: يوم القيامة؛ قال: قالوا هذا اليوم الذي تزعمون أنا نحيا فيه وآباؤنا، قال: فهم فيه مختلفون، لا يؤمنون به، فقال الله: بل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون: يوم القيامة لا يؤمنون به)[5].

وأضاف الماتريدي قولا ثالثا[6]: قال: (فإن كان السؤال عن حال الرسول صلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فوجه اختلافهم أنّ بعضهم زعم أنه شاعر، وقالَ بَعضُهم: هو ساحر، وقالَ بَعضُهم: مفتر كذاب، وادّعى بعضهم أنه مجنون).

- ﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾: يسأل بعضهم بعضا. (والضمير لأهل مكة: كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث، ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء)[7].

---

[1] تفسير مقاتل بن سليمان(ت 150هـ) 4ج ص 557. وانظر تفسير عبد الرزاق - عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت 211هـ) - ج 3 ص 382.

[2] جامع البيان- الطبري - ج 24 ص 149.

[3] تذكرة الأريب في تفسير الغريب - ابن الجوزي (ت 597هـ) - ص435.

[4] جامع البيان- الطبري - ج 24 ص 150.

[5] نفسه - ج 24 ص 150.

[6] تأويلات أهل السنة - محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت 333هـ) - ج 10ص389. و بحر العلوم السمرقندي (ت 373هـ) - ج 3 ص 536.

[7] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – الزمخشري (ت 538 هـ) - ج 4 ص 684.

- **هل كان تساؤلهم على الحقيقة؟**

يحتمل أن يكون تساؤلهم على الحقيقة؛ سؤال من يريد أن يعرف الحقيقة، وبعدها أنكروا إنكار جحود، ويصحّ أن يكون التساؤل المتظاهر وهم موقنون بانتفاء وقوع البعث فيكون سؤالهم سؤال استهزاء أو وإنما هم موقنون بالتكذيب. قال ابن عاشور[1] : (فيجوز أن تكون مستعملة في حقيقتها بأن يسأل بعضهم بعضاً **سؤال متطلّع** للعلم لأنهم حينئذ لم يزالوا في شكّ من صحّة ما أنبئوا به **ثم استقرّ أمرهم على الإنكار**، ويجوز أن تكون مستعملة في المجاز الصّوري: يتظاهرون بالسؤال وهم موقنون بانتفاء وقوع ما يتساءلون عنه ... فيكونون **قصدوا بالسّؤال الاستهزاء**.

وذهب المفسّرون إلى طريقتين، في كلتا الطريقتين يُرجّحُ كلُّ فريق ما ذهب إليه.

والوجه: حمل الآية على كلتيهما لأنّ المشركين كانوا متفاوتين في التكذيب...

ثم قال: فإطلاق لفظ التساؤل حقيقيّ لأنه موضوع لمثل تلك المساءلة وقصدُهم منه غير حقيقيّ بل تهكّميّ).

وضمير (يتساءلون) يجوز أن يكون ضميرَ جماعة الغائبين مراداً به المشركون ولم يسبق لهم ذكر في هذا الكلام ولكن ذكرهم متكرر في القرآن فصاروا معروفين بالقصد من بعض ضمائره فإن جعلت الكلام من باب الالتفات فالضمير ضميرُ جماعة المخاطبين.

جاء في روح المعاني[2] : (والاستفهام للإيذان بفخامة شأن المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الأجناس المعهودة أي: عن أي شيء عظيم الشأن (يتساءلون)، الضمير لأهل مكّة وإن لم يسبق ذكرهم للاستغناء عنه بحضورهم حسّا مع ما في الترك على ما قيل و الإهانة لأشعاره بأنّ ذكرهم مما يصان عنه ساحة الذكر الحكيم...اهـ).

كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها [3]: وجوه **أحدها:** وهو قول البصريين إن قوله :(عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ) كلام تامّ، ثم قال:(عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) والتقدير: (يَتَسَآءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ) إلا أنه حذف يتساءلون في الآية الثانية لأنّ حصوله في الآية الأولى يدلّ عليه.

وثانيها: أن يكون قوله :(عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) استفهاماً متصلاً بما قبله، والتقدير : عم يتساءلون أعن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، إلا أنه اقتصر على ما قبله من الاستفهام إذ هو متصل به، وكالترجمة والبيان له ...

---

[1] التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور - ج30ص 8.

[2] روح المعاني - الآلوسي - ج30 ص 3 .

[3] التفسير الكبير- الرازي- ج 31 ص 8.

وثالثها: وهو اختيار الكوفيين أن الآية الثانية متصلة بالأولى على تقدير: لأيّ شيء يتساءلون عن النبأ العظيم، و(عمّ)كأنها في المعنى لأيّ شيء ، وهذا قول الفراء.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ : (قال أهل المعاني: النبأ العظيم: الخبر العظيم الشأن)[1].

﴿ٱلنَّبَإِ﴾: خبر ذو فائدة يحصل به علم أو غلبة ظن.

قال الرّاغب[2] : (**نبأ**: النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه الصلاة والسلام، ولتضمن النبإ معنى الخبر يقال أنبأنه بكذا كقولك أخبرته بكذا، ولتضمنه معنى العلم قيل أنبأته كذا كقولك وأعلمته كذا).

عظم[3]: العظم جمعه عظام، قال:(عظاما فكسونا العظام لحما) وقرئ عظما فيهما، ومنه قيل عظمة الذراع لمستغلظها، وعظم الرحل خشبة بلا أنساع، وعظم الشيء أصله كبر عظمه ثم **استعير لكل كبير فأجري مجراه محسوسا كان أو معقولا، عينا كان أو معنى**، قال (عذاب يوم عظيم) ،(قل هو نبأ عظيم)،(عم يتساءلون عن النبإ العظيم) ، (من القريتين عظيم) والعظيم إذا استعمل في الأعيان فأصله أن يقال في الأجزاء المتصلة، والكثير يقال في المنفصلة، ثم قد يقال في المنفصل عظيم نحو جيش عظيم ومال عظيم، وذلك في معنى الكثير، والعظيمة النازلة...)

ووصف (النبأ) بـ(العظيم) هنا زيادة في التنويه به لأن كونه وارداً من عالِم الغيب زاده عظمَ أوصاف وأهوال، فوصف النبأ بالعظيم باعتبار ما وُصف فيه من أحوال البعث في ما نزل من آيات القرآن قبلَ هذا، ونظيره قوله تعالى:﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ۝٦٨﴾ سورة ص.

ما المقصود من (النبأ)؟

اختلف في المقصود من (النبأ) أهو القرآن أم أنه البعث أم أمر آخر وتفصيل ذلك فيما يلي:

روى الطبري القولين [4] حيث قال: واختلف أهل التأويل في المعني بالنبأ العظيم، فقال بعضهم: أريد به القرآن.

ثم ذكر الرواية عن مجاهد في قول الله: (عن النبإ العظيم) قال: القرآن.

عن قتادة في قوله:(عن النبإ العظيم): وهو البعث بعد الموت.

---

[1] التفسير البسيط - الواحدي، النيسابور (ت ٤٦٨هـ) - ج 23 ص 112.

[2] المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني(ت 502هـ) - كتاب النون- ص 481.

[3] نفسه - كتاب العين- ص 339.

[4] جامع البيان - الطبري - ج 30 ص 5و6.

وأما **الزجاج فقد روى القولين وزاد قولا ثالثا وهو اختلافهم في** أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم غير انه رجّح أن يكون النبأ هو البعث قال: (قيل هو القرآن، وقيل عن البعث وقيل عن أمر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والذي يدلّ عليه قوله (إنّ يوم الفصل كان ميقاتا) يدلّ على أنهم كانوا يتساءلون عن البعث)[1].

وأما **الرازي** [2] فقد ذهب- كما في الكشاف- إلى أن الأقرب من المقصود بـ :(النبإ العظيم) أنه البعث بعد الموت على أن يكون القرآن أو بعثة محمد صلّى الله عليه وسلّم ، ولذلك قال: ذكر المفسرون في تفسير النبأ العظيم ثلاثة أوجه [3]:

أحدها: أنه **هو القيامة** وهذا هو الأقرب ويدل عليه وجوه:

أحدها: قوله: (سَيَعْلَمُونَ) والظاهر أن المراد منه أنهم سيعلمون هذا الذي يتساءلون عنه حين لا تنفعهم تلك المعرفة، ومعلوم أن ذلك هو القيامة، قال ابن عطية[4]: والعلم في هذه الآية بمعنى ستعرفون، فلذلك لم يتعد.

وثانيها: أنه تعالى بين كونه قادراً على جميع الممكنات بقوله:(أَلَمْ نَجْعَلِ الارْضَ مِهَـــادًا) إلى قوله تعالى: (يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ) وذلك يقتضي أنه تعالى إنما قدم هذه المقدمة لبيان كونه تعالى قادراً على إقامة القيامة، ولما كان الذي أثبته الله تعالى بالدليل العقلي في هذه السورة هو هذه المسألة ثبت أن النبأ العظيم الذي كانوا يتساءلون عنه هو يوم القيامة.

وثالثها: أنّ العظيم اسم لهذا اليوم بدليل قوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ المطففين.و قوله تعالى :﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ سورة ص [5] .

ولأنّ هذا اليوم أعظم الأشـــياء لأنّ ذلك منتهى فزع الخلق وخوفهم منه فكان تخصـــيص اســـم العظيم به لائقاً.

وأما القرطبيّ فقد رجّح أن يكون التســـاؤل عن البعث بدلالة [6]: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْـــلِ كَانَ مِيقَاتاً) يدل على أنهم كانوا يتساءلون عن البعث.

---

[1] معاني القرآن وإعرابه- الزجاج (ت 311)- ص 271.

[2] التفسير الكبير- الرازي- ج31 ص8 و 9 . و الكشاف- الزمخشري - ج6ص 294.

[3] نكتفي بذكر الوجه الذي اختاره.

[4] المحرر الوجيز- ابن عطية - 5/ 424.

[5] سورة ص: 67 و68. قال ابن كثير:(قل هو نبأ عظيم) أي: خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله إياي إليكم (أنتم عنه معرضون) أي: غافلون. قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله: (قل هو نبأ عظيم)يعني: القرآن.

[6] الجامع لأحكام القرآن- القرطبي ج19 ص 170.

أما صاحب **التّحرير والتّنوير** فيذهب إلى أنّه: الإنباء بأنّ الله واحد لا شريك له، يقول[1]: وسَوق الاستدلال بقوله: (ألم نجعل الأرض مهاداً) إلى قوله : (وجنات ألفافاً)[2] يدلّ دلالة بيّنة على أنّ المراد من (النبأ العظيم): الإنباء بأنّ الله واحد لا شريك له.

أقول: وإذا أضفنا هذا الوجه إلى الأوجه الثلاثة المذكورة سابقا صار المقصود من (النبأ العظيم): أربعة أوجه، والمختار منها: أنه البعث بعد الموت بدلالة السياق وفق قاعدة: المعنى الذي يدل عليه السياق أولى من غيره، وهو الذي ذهب إليه الرازي والزجاج والقرطبي وغيرهم...

- ﴿ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾ : قال الخازن [3]:(فمن فسّر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم إنه سحر أو شعر أو كهانة أو نحو ذلك مما قالوه في القرآن، ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون، ومن مكذب به وهم الكافرون، ومن فسره بنبوة محمد ﷺ قال اختلافهم فيه كاختلافهم في القرآن)اهـ

وجيء بالجملة الاسمية في صلة الموصول دون أن يقول: الذي يَختلفون فيه أو نحو ذلك، لتفيد الجملة الاسمية أنّ الاختلاف في أمر هذا النبأ متمكّن منهم ودائم فيهم لدلالة الجملة الاسمية على الدّوام والثّبات.

التفاوت في مراتب الإنكار:

وهم مختلفون في مراتب الإنكار فمنهم: من يقطع بإنكار البعث مثل الذين حكى الله عنهم بقوله:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ۝٧﴾ سبأ [4].

ومنهم من يشكّون فيه كالذين حكى الله عنهم بقوله:﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ۝٣٢﴾ سورة الجاثية [5].

---

[1] التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - ج30ص 10.

[2] سورة النبأ 16.

[3] لباب التأويل في معاني التنزيل - الخازن (ت 741هـ) ج 4ص 375.

[4] قال الطبري: يقول: يخبركم أنكم بعد تقطعكم في الأرض بلاء وبعد مصيركم في التراب رفاتا، عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقا جديدا.

[5] قال الطبري: يقول تعالى ذكره: ويقال لهم حينئذ:(وإذا قيل لكم إن وعد الله) الذي وعد عباده، أنه محييهم من بعد مماتهم، وباعثهم من قبورهم(حق والساعة) التي أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم، وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية، آتية(لا ريب فيها) يقول: لا شك فيها، يعني في الساعة، والهاء في قوله(فيها) من ذكر الساعة ...(قلتم ما ندري ما الساعة) تكذيبا منكم بوعد الله جل ثناؤه، وردا لخبره، وإنكارا لقدرته على إحيائكم من بعد مماتكم. وقوله: (إن نظن إلا ظنا) يقول: وقلتم ما نظن أن الساعة آتية إلا ظنا(وما نحن بمستيقنين) أنها جائية، ولا أنها كائنة.

و قوله تعالى: ﴿كَلَّاسَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّاسَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ النبأ.

جاء في البحر المحيط [1]: ﴿كَلَّا﴾: ردع للمتسائلين. وقرأ الجمهور: بياء الغيبة فيهما.

وعن الضحاك: الأول بالتاء على الخطاب، والثاني بالياء على الغيبة. وهذا التكرار توكيد في الوعيد وحذف ما يتعلق به العلم على سبيل التهويل، أي سيعلمون ما يحل بهم.

وفي التفسير المنير [2] : ثمّ ردّ اللّه تعالى عليهم متوعّدا إنكارهم القيامة بقوله:﴿كَلَّاسَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ أي: لا ينبغي لهم أن يختلفوا في شأن البعث، فهو حق لا ريب فيه، وسيعلم الذين يكفرون به عاقبة تكذيبهم ... وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، قال أهل المعاني: **تكرير الرّدع مع الوعيد دليل على غاية التّهديد**. وفي ثُمَّ إشارة إلى أن الوعيد الثاني أبلغ من الأول.

وفي التحرير والتنوير[3]: ﴿كَلَّا﴾:حرف ردع وإبطال لشيء يسبقه غالباً في الكلام يقتضي ردع المنسوب إليه وإبطال ما نسب إليه ، وهو هنا ردع للذين يتساءلون عن النبأ العظيم (الذي هم فيه مختلفون) على ما يحتمله التساؤل من المعاني المتقدمة، وإبطال لما تضمنته جملة (يتساءلون) من تساؤل معلوم للسامعين...

والغالب في استعمال ﴿كَلَّا﴾ أن تعقّب بكلام يبيّن ما أجملتْه من الردع والإبطال فلذلك عقبت هنا بقوله : ﴿سَيَعۡلَمُونَ﴾ وهو زيادة في إبطال كلامهم بتحقيق أنهم سيوقنون بوقوعه ويعاقَبون على إنكاره، فهما علمان يحصلان لهم بعد الموت: علم بحق وقوعِ البعث، وعلمٌ في العقاب عليه.

وعلى هذا يفهم قول ابن عطية [4]: والعلم في هذه الآية بمعنى : ستعرفون، فلذلك لم يتعد.

---

[1] البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي- ج8 ص 403.

[2] التفسير المنير- د وهبة الزحيلي - ج30 ص 370 و371 .

[3] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور- ج 30 ص 11.

[4] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- ابن عطية الأندلسي (ت 546هـ) - ج5 ص424 .

المحاضرة السادسة

عناصر المحاضرة السادسة

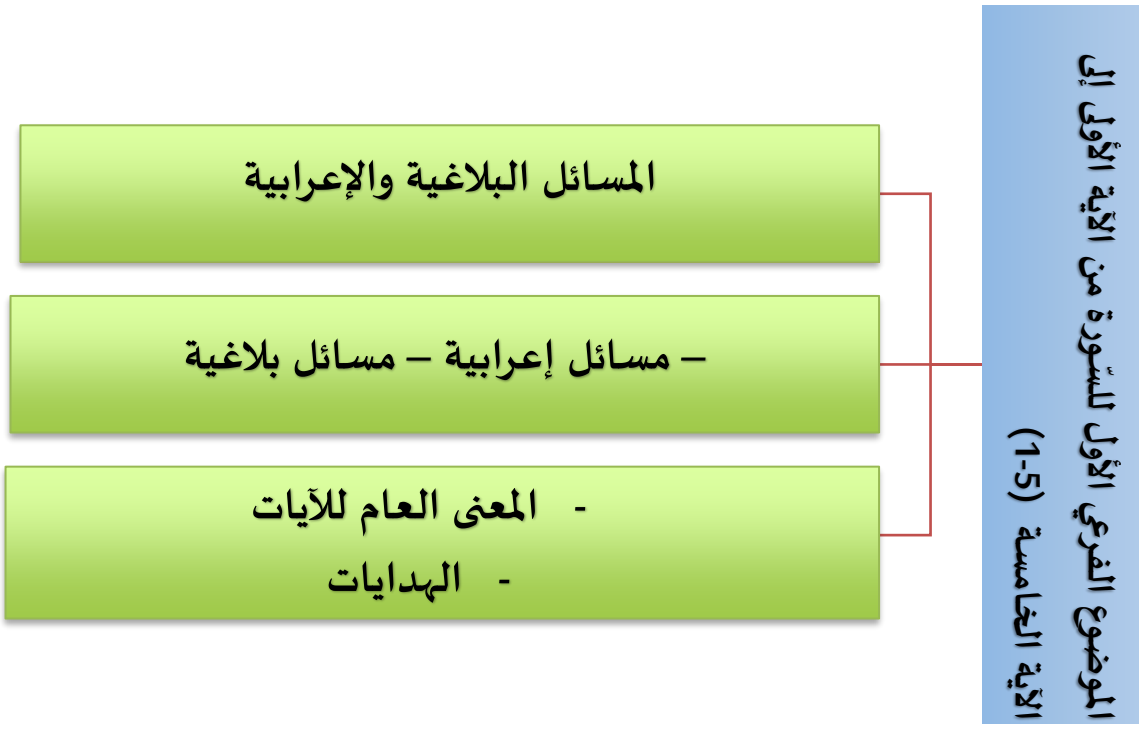

مسائل إعرابية

المسألة الأولى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ : الإعراب:

(عَمَّ): (عن): حرف جر. (ما): اسم استفهام مبني على السكون المقدر على الألف المحذوفة لدخول حرف الجر عليه. متعلق ب (يتساءلون).

(يَتَساءَلُونَ): فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و (الواو): ضمير متصل مبني فاعل.

وجملة: (عم يتساءلون ...) ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

فائدة

- يجب حذف ألف (ما) الاستفهامية إذا جُرّت، وإبقاء الفتحة دليلا عليها، نحو: **فيم، إلام، علام، بم.** وذلك للفرق بين الموصولة والاستفهامية.
- والاستفهام لتفخيم الشأن كأنه قال عن أيّ شيء يتساءلون؟

المسألة الثانية: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ الإعراب:

- (كَلاّ سَيَعْلَمُونَ) : (كَلاّ): حرف ردع وزجر.

(سَيَعْلَمُونَ): السين: حرف استقبال.

(يعلمون): فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، و (الواو): فاعل.

وجملة: (كلا سيعلمون ...) استئنافية لا محل لها من الإعراب.

فائدة

قال ابن منظور[1]:(وَقَالَ الأَخفش مَعْنَى كَلَّا الرَّدْع والزَّجر؛ قَالَ الأَزهري: وَهَذَا مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ وإِليه ذَهَبَ الزَّجَّاجُ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ).

[1] لسان العرب- ابن منظور - ج 15 ص 231.

مسائل بلاغية

المسألة الأولى: افتتاح السورة

افتتاح الكلام بالاستفهام عن تساؤل جماعة عن نبأ عظيم، افتتاح تشويق ثم تهويل لما سيُذكر بعده، فهو من الفواتح البديعة لما فيها من أسلوب عزيز غير مألوف ومن تشويق بطريقة الإجمال ثم التفصيل المحصلة لتمكن الخبر الآتي بعده في نفس السامع أكمل تمكن.

وإذ كان هذا الافتتاح مؤذنا بعظيم أمر كان مؤذنا بالتصدي لقول فصل فيه، ولما كان في ذلك إشعار بأهم ما فيه خوضهم يومئذ يجعل افتتاح الكلام به من براعة الاستهلال[1] .

المسألة الثانية بلاغة : " يتساءلون "[2]

1- والتساؤل: تفاعل وحقيقة صيغة التفاعل تفيد صدور معنى المادة المشتقة منها من الفاعل إلى المفعول وصدور مثله من المفعول إلى الفاعل، وترد كثيرا لإفادة تكرر وقوع ما اشتقت منه...وضمير يتساءلون يجوز أن يكون ضمير جماعة الغائبين مرادا به المشركون ولم يسبق لهم ذكر في هذا الكلام ولكن ذكرهم متكرر في القرآن فصاروا معروفين بالقصد من بعض ضمائره، وإشاراته المبهمة... ولما كان الاستفهام مستعملا في غير طلب الفهم حسن تعقيبه بالجواب عنه بقوله: عن النبإ العظيم فجوابه مستعملة بيانا لما أريد بالاستفهام من الإجمال لقصد التفخيم فبين جانب التفخيم.

2- وقال الزجاج: الكلام تام في قوله:(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) ثم كان مقتضى القول أن يجيب مجيب فيقول: يتساءلون عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ، فاقتضى إيجاز القرآن وبلاغته أن يبادر المحتج بالجواب الذي تقتضيه الحال والمجاورة اقتضابا للحجة وإسراعا إلى موضع قطعهم، وهذا نحو قوله تعالى: (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ) الأنعام:9 وأمثلة كثيرة[3].

3- المسألة الثانية: قوله (عم يتساءلون)أنه سؤال، وقوله عن (النبإ العظيم) جواب السائل والمجيب هو الله تعالى، وذلك يدل على علمه بالغيب، بل بجميع المعلومات. فإن قيل ما الفائدة في أن يذكر الجواب معه؟

قلنا لأن إيراد الكلام في معرض السؤال والجواب أقرب إلى التفهيم والإيضاح[4].

---

[1] التحرير والتنوير- ابن عاشور- ج 30 ص 6.

[2] التحرير والتنوير-ج 30ص 7.

[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- ابن عطية الأندلسي- ج 5ص423.

[4] التفسير الكبير – الرازي – ج 31 ص 5.

المسألة الثالثة: دلالة الجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ ﴾

جيء بالجملة الاسمية في صلة الموصول دون أن يقول: الذي يختلفون فيه أو نحو ذلك لتفيد الجملة الاسمية أن الاختلاف في أمر هذا النبأ متمكن منهم ودائم فيهم، لدلالة الجملة الاسمية على الدوام والثبات.

المسألة الرابعة[1]: دلالة تكرار الرّدع مع الوعيد في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥ ﴾.

قال أهل المعاني: تكرير الردع مع الوعيد دليل على غاية التهديد، وفي (ثُمَّ) إشارة إلى أن الوعيد الثاني أبلغ من الأول.

قال أبو حيان: وهذا التكرار توكيد في الوعيد وحذف ما يتعلق به العلم على سبيل التهويل، أي سيعلمون ما يحل بهم.

(كَلَّا) ردع للمتسائلين هزؤا. و(سَيَعْلَمُونَ) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أنّ ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق، لأنه واقع لا ريب فيه. وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى (ثُمَّ)الإشعار بأنّ الوعيد الثاني أبلغ من الأوّل وأشد. قال ابن عطية: والعلم في هذه الآية بمعنى ستعرفون، فلذلك لم يتعد.

[1] تراجع المسألة في: البحر المحيط- أبو حيان الأندلسي-ج8 ص 403. و الكشاف- الزمخشري- ج 4ص 684. و المحرر الوجيز – ج 5ص424.

المعنى الإجمالي للآيات [1]

أنكر اللّه تعالى على المشركين تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارا لوقوعه، فقال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾ أيّ: شيء يسأل بعض كفار قريش بعضا عنه؟ ثم أجاب اللّه تعالى عن هذا السؤال بقوله: (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) أي: عن الخبر العظيم الشّأن الذي اختلفوا في أمره، بين مكذّب ومصدّق، وكافر ومؤمن به، ومنكر ومقرّ، وشاكّ ومثبت، وهو يوم البعث بعد الموت، كما حكى اللّه جلّ وعزّ عنهم فهم القائلون: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ۝٣٧﴾ سورة المؤمنون وهم الذين عناهم الله جلّ وعزّ بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ۝٣٢﴾ الجاثية.

والمراد من الاستفهام تفخيم الأمر وتعظيمه وتعجيب السّامعين من أمر المشركين، وإيراد الكلام في صورة السؤال والجواب، أقرب إلى التفهيم والإيضاح، وتثبيت الجواب في نفوس الناس السائلين، ثم ردّ اللّه تعالى عليهم متوعّدا إنكارهم البعث بقوله: (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) أي لا ينبغي لهم أن يختلفوا في شأن البعث، فهو حق لا ريب فيه، وسيعلم هؤلاء المشركون عاقبة تكذيبهم، ويظهر لهم ما الله فاعل بهم يوم البعث، ثم سيتأكد لهم ذلك، ويتأكد لهم صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من أمر البعث، وهذا تهديد ووعيد لهم.

قال أهل المعاني: تكرير الردع مع الوعيد دليل على غاية التهديد، وفي (ثُمَّ) إشارة إلى أن الوعيد الثاني أبلغ من الأول.

---

[1] التفسير الميسر لعدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مصدر الكتاب: موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. و التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج .د وهبة الزحيلي .دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، 1418 هو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي .دار الكتب العلمية بيروت 1421هـ - 2000 م الطبعة : الأولى.

هدايات الآيات

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾ النبأ.

دلّت الآيات على الهدايات الآتية

1- تفخيم شأن البعث وتهويله وتعظيم أمره، وتأكيد وقوعه وأنه حقّ ثابت لا ريب فيه.

2- تقرير عقيدة البعث والجزاء والنبوة والتوحيد وهي التي اختلف الناس فيها ما بين مثبت وناف، ومصدق ومكذب.

3- من أعظم الأنباء شأنا والتي أخبر بها القرآن إثبات إعادة خلق الأجسامِ بعد موتها.

4- سيعلم المكذّبون صدق ما جاء به محمد ﷺ من القرآن ومما ذكره لهم من البعث بعد الموت، حين يحلّ بهم العذاب والنكال.

5- (النبأ العظيم): والذي يظهر- والله تعالى أعلم-: أنه يوم القيامة والبعث؛ لأنه جاء بعده بدلائل وبراهين البعث كلها، وعقبها بالنص على يوم الفصل صراحة، أما براهين البعث فهي معلومة أربعة: خلق الأرض والسماوات، وإحياء الأرض بالنبات، ونشأة الإنسان من العدم، وإحياء الموتى بالفعل في الدنيا لمعاينتها. وكلها موجودة هنا [1].

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الأمين الشنقيطي - ج 8 ص 407.

المحاضرة السابعة

عناصر المحاضرة السابعة

الموضوع الفرعي الثاني للسّورة: من الآية السادسة إلى الآية السادسة عشر (6-16)

- دلالة الانفراد بالخلق على الإعادة بالبعث
- المناسبة
- غريب القرآن

الموضوع الفرعي الثاني للسّورة
من الآية السادسة إلى الآية السادسة عشر (6 / 16)
دلالة الانفراد بالخلق على الإعادة بالبعث

تمهيد

المقصد من هذه الآيات لفت النظر إلى عجيب صنع الله الذي أتقن كلّ شيء خلقه، فإنّ هذه الأشياء من جهة حدوثها تدلّ على قدرته سبحانه وتعالى، ومن جهة إحكامها وإتقانها تدلّ على علمه سبحانه، وفي هذا دلالة على إعادة الأجساد بعد البلى.

آيات الموضوع الفرعي الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ ﴾ النبأ.

أولا: مناسبة هذا المقطع لما قبله:

لما تساءلوا عن البعث بعد الموت تساؤل المنكر له جاءتهم الشواهد الدالّة على قدرة الله و وحدانيته فـ(لما أنكروا البعث واستبعدوه وتساءلوا عنه سؤال المستبعد لوقوعه المنكر له، ناسب أن تذكر لهم الشواهد الناطقة بقدرة الخالق سبحانه وتعالى وأنه لايعجزه شيء في الأرض ولا في السماء [1].

والذي يدلّ على إمكان البعث أمران الأول كونه جلّ جلاله **قادراً** على جميع الممكنات، والثاني أنه جلّ وعزّ **عالماً** بجميع المعلومات وفي **تفسير الرازي** [2] : (... وذلك لأنه مهما ثبت هذان الأصلان ثبت القول بصحة البعث، وإنما أثبت هذين الأصلين بأن عدّد أنواعاً من مخلوقاته الواقعة على وجه الإحكام والإتقان، فإنّ تلك الأشياء **من جهة حدوثها تدلّ على القدرة، ومن جهة إحكامها وإتقانها تدل على العلم**، ومتى ثبت هذان الأصلان وثبت أن الأجسام متساوية في قبول الصفات والأعراض، **ثبت لا محالة كونه تعالى قادراً على تخريب الدنيا بسماوتها وكواكبها وأرضها**، وعلى **إيجاد عالم الآخرة**، فهذا هو الإشارة إلى كيفية النظم).اهـ

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم- مجموعة من العلماء إشراف د مصطفى مسلم - ج 9 ص 5.

[2] التفسير الكبير- الرازي - ج 31ص6.

قال البقاعي: (ثم أورد تعالى من جميل صنعه وما إذا اعتبره المعتبر علم أنه لم يخلق شيء منه عبثاً بل يعتبر به ويستوضح وجه الحكمة فيه، فعلم أنه لا بدّ من وقت ينكشف فيه الغطاء ويجازي الخلائق على نسبة من أحوالهم في الاعتبار والتدبّر والخضوع لمن نصب مجموع تلك الدلائل، ويستشعر من تكرار الفصول وتجدد الحالات وإحياء الأرض بعد موتها، جرى ذلك في البعث واطّراد الحكم).

غريب القرآن

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ النبأ.

1- جعل: لكلمة (جعل) خمسة معان فصّلها الراغب الأصفهاني على النحو الآتي بقوله: (جَعَلَ: لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعمّ من فعل وصنع وسائر أخواتها، ويتصرّف على خمسة أوجه:

الأول: يجري مجرى صار وطفق فلا يتعدّى، نجو جعل زيد يقول كذا ...

والثاني: يجري مجرى أوجد، فيتعدّى إلى مفعول واحد نحو قوله عزّ وجل: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۝١﴾ الأنعام، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ...۝٧٨﴾ النحل.

والثالث: في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه، نحو: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا..۝٧٢﴾ النحل، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا...۝٨١﴾ النحل، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ...۝١٠﴾ الزخرف.

والرابع: في تصيير الشيء على حالة دون حالة، نحو: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ...۝٢٢﴾ البقرة، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا .. ۝٨١﴾ النحل، ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ... ۝١٦﴾ نوح، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ... ۝٣﴾ الزخرف.

والخامس: الحكم بالشيء على الشيء، حقّا كان أو باطلا، فأمّا الحقّ فنحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ القصص، وأمّا الباطل فنحو قوله عزّ وجل: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا... ۝١٣٦﴾ الأنعام، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧﴾ النحل، ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ الحجر)[1].

2- ﴿مِهَٰدًا﴾ يدور معنى المهد والمهاد حول التوطئة والتسوية والتهيئة (المَهْدُ والمِهَاد: المكان المُمَهَّد الموطَّأ، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ...۝٥٣﴾ طه، و ﴿مِهَٰدًا ۝٦﴾ النبأ ... ومَهَّدْتُ لك كذا:

[1] المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهانى (ت 502هـ)- ص196.

هيّأته وسوّيته، قال تعالى: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤﴾ المدثر، وامتهد السَّنامُ أي: تَسَوَّى فصار كمِهَادٍ أو مَهْدٍ)[1].

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾

3 - أوتادا: تدل مادة و ت د على التثبيت(وتد: الوتِدُ، بِالْكَسْرِ، والوَتْدُ والوَدُّ: مَا رُزَّ فِي الحائِط أَو الأَرض مِنَ الْخَشَبِ، وَالْجَمْعُ أَوتادٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَالْجِبالَ أَوْتاداً ... ووَتَدَ الوَتِدُ وَتْداً وتِدَةً وَوَتَّدَ كِلَاهُمَا: ثَبَتَ، ووَتَدْتُه أَنا أَتِدُه وَتْداً وتِدَةً وَوَتَدْتُه: أَثْبَتُّه...) [2].

﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَاجٗا ٨﴾

4 – ﴿وَخَلَقۡنَٰكُمۡ﴾"خَلْقُ الله الخَلْق ":تهيئته مادة ما لتكون كائنًا سويًا بشرًا أو حيوانًا أو نباتًا أو نهرًا...[3]

5 – ﴿أَزۡوَاجٗا﴾: الزَوْج بالفتح: الفَرْد الذي له قَرين[4].

﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩﴾

6 – ﴿سُبَاتٗا﴾تدلّ مادة (سبت) على معنى القطع ففي السبات قَطْع للأَعْمال ، قال ابن منظور: (ابْنُ الأَعرابي فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ٩﴾أَي: قِطَعاً؛ والسَّبْتُ: القَطْع، فكأَنه إِذا نَامَ، فَقَدِ انْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: السُّباتُ أَن يَنْقَطِعَ عَنِ الْحَرَكَةِ، والروحُ فِي بَدَنِهِ، أَي جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ رَاحَةً لَكُمْ)[5].

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠﴾

7 –﴿لِبَاسٗا﴾تدلّ مادة (لبس) على السكن والاشتمال ولِبَاس كلّ شيء غِشاؤه (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً أَي تَسْكُنُون فِيهِ، وَهُوَ مشتملٌ عَلَيْكُمْ)[6].

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١﴾

8 –﴿ مَعَاشٗا﴾: وقتا لطلب المعاش وهو ما يعاش به (العَيْش بالفتح: الحياة، عاش يعيش عيشًا وعيشةً ومَعيشًا ومعاشًا وعَيْشُوشة، قال الجوهري كل واحد من قوله معاشًا ومعيشًا يصلح أن

---

[1] المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهانى (ت 502هـ)- ص780.

[2] لسان العرب - ابن منظور - ج 3ص 444.

[3] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم - د/ محمد حسن حسن جبل- ج 1 ص 602.

[4] نفسه - ج 2 ص 878.

[5] لسان العرب - ابن منظور - ج 2 ص 37.

[6] نفسه - ج 6 ص 203.

يكون مصدرًا وأن يكون اسمًا مثل معاب ومعيب. والعيش: ما يعاش به يقال عيشهم اللَبَن، الخُبْزُ والحَبّ، التَمْرُ. والعَيش: الطعام (يمانية) وربما سموا الخبز عيشًا، والمعاش والمعيشة ما يعاش به... وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ النبأ، ... فيه إضمار أي وقت معاش أي مُتَصَرَّفًا لطلب المعاش، وهو كل ما يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك)[1].

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾

9 – ﴿ شِدَادًا ﴾ : الشدّة القوة والصلابة وكلُّ مَا أُحْكِمَ (شدد: الشِّدَّةُ: الصَّلابةُ، وَهِيَ نَقِيضُ اللِّينِ تَكُونُ فِي الْجَوَاهِرِ والأَعراض، وَالْجَمْعُ شِدَدٌ؛ عَنْ سِيبَوَيْهِ، قَالَ: جَاءَ عَلَى الأَصل لأَنه لَمْ يُشْبِهِ الْفِعْلَ، وَقَدْ شَدَّه يَشُدُّه ويَشِدُّه شَدّاً فاشْتَدَّ؛ وكلُّ مَا أُحْكِمَ، فَقَدَ شُدَّ وشُدِّدَ؛ وشَدَّدَ هُوَ وتشَادّ: وَشَيْءٌ شَدِيدٌ: بَيِّنُ الشِّدَّةِ. وَشَيْءٌ شَديدٌ: مُشتَدٌّ قَوِيٌّ... وَرَجُلٌ شديدٌ: قويٌّ، وَالْجَمْعُ أَشِدّاءُ وشِدادٌ وشُدُدٌ... وَقَدْ شَدَّ يشِدّ، بِالْكَسْرِ لَا غَيْرُ، شِدَّةً إِذا كَانَ قَوِيًّا، وشادَّه مُشادَّة وشِداداً: غَالَبَهُ)[2].

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾

10– ﴿ سِرَاجًا ﴾ السِراج: المصباح الزاهر الذي يُسْرَج بالليل [3].

11 – ﴿ وَهَّاجًا﴾: الوهج شدة حرارة الشمس وتوقدها ولوهج: تلألؤُ الشيء وتَوَقُّدُه (وَهَجَ: يَوْمٌ وَهِجٌ ووَهْجانٌ: شَدِيدُ الْحَرّ؛ وَلَيْلَةٌ وَهِجةٌ ووَهْجانةٌ، كَذَلِكَ، وَقَدْ وَهَجا وَهْجاً ووَهَجاناً ووَهَجاً وتَوَهُّجاً. والوَهَجُ والوَهْجُ والوَهَجانُ والتَّوَهُّجُ: حَرَارَةُ الشَّمْسِ وَالنَّارِ مِنْ بَعِيدٍ. ووَهَجانُ الْجَمْرِ: اضْطِرَامُ تَوَهُّجِه... والوَهْجُ، بِالتَّسْكِينِ: مَصْدَرُ وَهَجَتِ النَّارُ تَهِجُ وَهْجاً ووَهَجاناً إِذا اتَّقَدت)[4].

التوهّج: احتواء الشيء أشعةَ أو شَذًى حادًّا يمتد منه: (والتوهُّج: حرارةُ الشمس والنار مِن بعيد. وَهَجُ الطيبِ- محركة، ووَهيجُه: انتشارُ أَرَجه (وتوهَّجَت رائحة الطيب: تَوقَّدَتْ) والوَهَجُ والوهيج كذلك: تلألؤُ الشيء وتَوَقُّدُه. تَوَهَّجَ الجوهرُ: تلألأ)[5].

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾

12 – ﴿ ٱلْمُعْصِرَٰتِ ﴾: مادة عصر تدل على استخراج ما هو مختزن (عَصَر العنبَ ونحوَه مما له دُهْنٌ أو شَرَاب أو عَسَل: استخرجَ ما فيه. وعَصِيرُ الشيء وعُصَارته: ما تَحلَّبَ منه إذا عَصَرْتَه... ومن لطف مصدر العصير (أي أنه مختزن في الثمر خفيّ) مع سيلانه شيئًا فشيئًا فيوحي بالاستمرار).

---

[1] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم - د/ محمد حسن حسن جبل- ج 3 ص 1468 و 1469 .

[2] لسان العرب - ابن منظور - ج 3 ص 232.

[3] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم - د/ محمد حسن حسن جبل- ج 2 ص 994 .

[4] لسان العرب - ابن منظور - ج 2 ص 401.

[5] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم - د/ محمد حسن حسن جبل- ج 4 ص 2288 .

و(المُعْصِر السَّحَابَةُ الَّتِي قَدْ آنَ لَهَا أَن تصُبّ)[1]. قال ابن منظور: (وَزَعَمُوا أَن مَعْنَى مِن، مِنْ قَوْلِهِ: مِنَ المُعْصِرات، مَعْنَى البَاءِ الزَّائِدَةِ، كأَنه قَالَ: وأَنزلنا بالمُعصِرات مَاءً ثَجَّاجًا، وَقِيلَ: بَلِ المُعْصِراتُ الغُيُومُ أَنفُسُها... قَالَ الأَزهري: وقولُ مَن فَسَّر المُعصِرات بالسَّحاب أَشْبَهُ بِمَا أَراد اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لأَن الأَعاصِير مِنَ الرِّيَاحِ ليستْ مِن رِياح المَطَرِ، وَقَد ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنه يُنْزِل مِنهَا مَاءً ثَجَّاجًا) [2].

13 – ﴿ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾: تدل مادة (ثجج) على صبّ الماء الكثير (الثَّجُّ: الصَّبُّ الكثيرُ، وَخَصَّ بَعضُهُم بِهِ صَبَّ المَاءِ الكَثِيرِ... وَمَاءٌ ثَجُوجٌ وثَجّاجٌ: مَصْبوبٌ)[3].

14 – ﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ ﴾: الألفاف: الأشجار يَلتفّ بعضُها ببعض (واللَّفِيفُ: القَومُ يَجتَمِعُونَ مِن قَبَائِلَ شَتَّى لَيسَ أَصلهم واحداً. وجاؤوا أَلفافاً أَي لَفِيفاً... واللَّفِيف: الكَثِيرُ مِنَ الشَّجَرِ، وَجَنَّةٌ لَفَّة ولَفٌّ: مُلْتَفَّةٌ... والأَلْفَاف: الأَشجار يَلْتَفُّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وجنَّاتٌ أَلْفَاف...

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَجَنَّاتٍ أَلفافاً أَي وَبَسَاتِينَ ملتفَّة)[4].

---

[1] لسان العرب - ابن منظور - ج 4 ص 578.

[2] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم - د/ محمد حسن حسن جبل- ج 3 ص 1474 .

[3] لسان العرب - ابن منظور - ج 2 ص 221.

[4] نفسه - ج 9 ص 318.

المحاضرة الثامنة

عناصر المحاضرة الثامنة

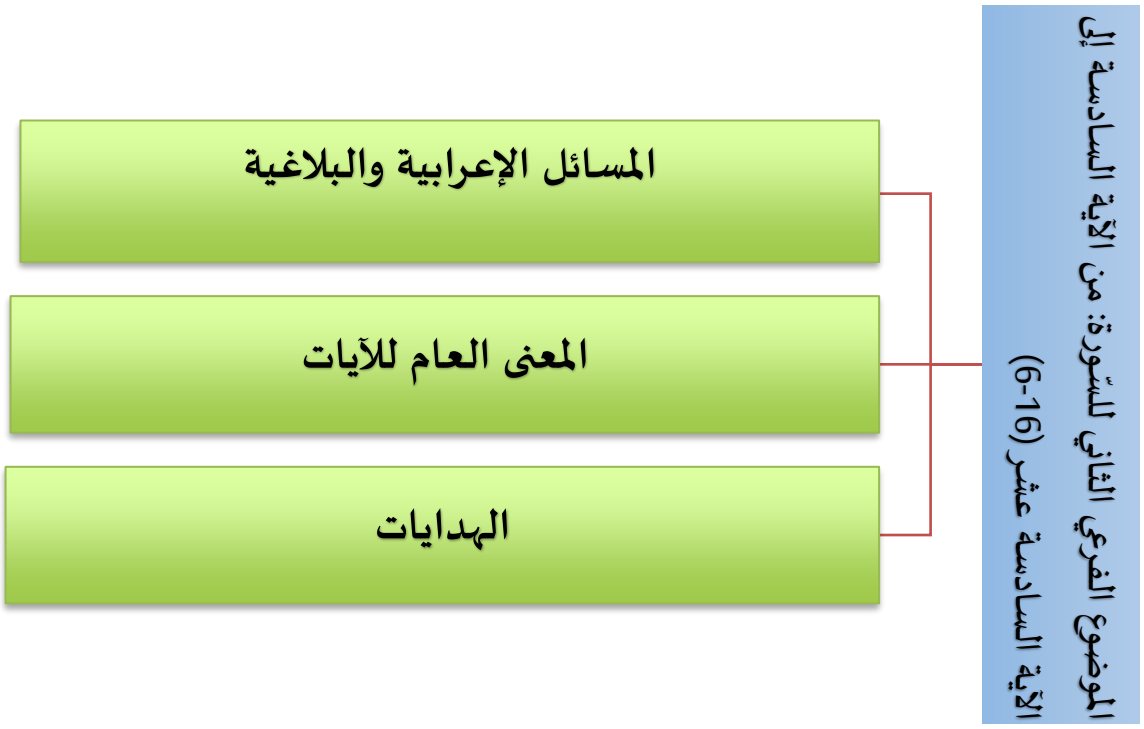

مسائل إعرابية [1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ النبأ

- (ألم): الهمزة للاستفهام التقريري أي جعلنا الأرض مهادا.
- (لم): حرف نفي وقلب وجزم.
- (نجعل) فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله مستتر تقديره نحن(عائد على الله جلّ وعزّ) .
- (الأرض) مفعول به أول.
- (مهادا) مفعول به ثان لأن الجعل بمعنى التصـيير. ويجوز أن يكون بمعنى الخلق فيكون مهادا حالا مقدرة.
- أزواجا: نصـب على الحال أي أصـنافا أي ذكورا وإناثا وقصـارا وطوالا فنبههم جلّ وعزّ على قدرته.

حذفت الهاء لأن اللغة الفصـيحة تأنيث السـماء، شِـداداً جمع شـديدة ولا تجمع على فعلاء استثقالا للتضعيف.

رابعا: مسائل بلاغية

المسألة الأولى: التشبيه البليغ في قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾: يجوز أن يكون اللباس محمولا على معنى الاسم وهو المشهور في إطلاقه، أي ما يلبسـه الإنسـان من الثياب فيكون وصـف الليل به على تقدير كاف التشـبيه على طريقة التشبيه البليغ، أي جعلنا الليل للإنسان كاللباس له، فيجوز أن يكون وجه الشبه هو التغشية.
والمعنى الثاني: من معنيي وجه الشـبه باللباس: أنه المشـابهة في الرفق باللابس والملاءمة لراحته، فلما كان الليل راحة للإنسان وكان محيطا بجميع حواسه وأعصابه شبه باللباس في ذلك[2].

المسألة الثانية: المقابلة في قوله تعالى:

---

[1] يراجع: إعراب القرآن الكريم - ط دار الصحابة (مجموعة من المؤلفين)- والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مع فوائد نحوية هامة- محمود صافي. تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه- محمد علي طه الدرة.

[2] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور - 30/ 20

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١﴾ : ولما كان معظم العمل في النهار لأجل المعاش أخبر عن النهار بأنه معاش وقد أشعر ذكر النهار بعد ذكر كل من النوم والليل بملاحظة أن النهار ابتداء وقت اليقظة التي هي ضد النوم فصارت مقابلتهما بالنهار في تقدير: وجعلنا النهار واليقظة فيه معاشا، ففي الكلام اكتفاء دلت عليه المقابلة، وبذلك حصل بين الجمل الثلاث مطابقتان من المحسنات البديعية لفظا وضمنا[1].

المسألة الثالثة: المجاز في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١﴾ : والإخبار عنه بأنه معيشة مجاز أيضا بعلاقة السببية لأن النهار سبب للعمل الذي هو سبب لحصول المعيشة وذلك يقابل جعل الليل سباتا بمعنى الانقطاع عن العمل، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾ القصص

وفي قوله تعالى: ﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ ﴾ وألفاف: اسم جمع لا واحد له من لفظه وهو مثل أوزاع وأخياف، أي كل جنة ملتفة، أي ملتفة الشجر بعضه ببعض.

فوصف الجنات بألفاف مبني على المجاز العقلي لأن الالتفاف في أشجارها ولكن لما كانت الأشجار لا يلتف بعضها على بعض في الغالب إلا إذا جمعتها جنة أسند ألفاف إلى جنات بطريق الوصف. ولعله من مبتكرات القرآن إذ لم أر شاهدا عليه من كلام العرب قبل القرآن[2].

المسألة الرابعة: الاستفهام التقريري [3] في قوله تعالى:

﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ ﴾ النبأ.

الاستفهام في (ألم نجعل) تقريري وهو تقرير على النفي كما هو غالب صيغ الاستفهام التقريري أن يكون بعده نفي والأكثر كونه بحرف (لم)، وذلك النفي كالإعذار للمقرر إن كان يريد أن ينكر، وإنما المقصود التقرير بوقوع جعل الأرض مهادا لا بنفيه فحرف النفي لمجرد تأكيد معنى التقرير.

المسألة الرابعة: الحذف في قوله تعالى:

---

[1] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور - 30/ 21.

[2] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور - 30 / 27

[3] نفسه - 30/ 13.

﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعًا شِدَادًا ١٢﴾ **الحذف:** والمراد بالسبع الشداد: السماوات، فهو من ذكر الصفة وحذف الموصوف للعلم به.

المعنى الإجمالي للآيات

لما أنكر المشركون البعث وتساءلوا فيما بينهم، عدد الله جلّ وعزّ نعمه وإحسانه عليهم وعلى خلقه مظهرا قدرته على خلق ما يدلّ على المعاد، وصحة البعث والحشر بعد الموت، فعدّد جلّ وعزّ تسعة أشياء تثبت ما أنكروه، وتدلّ على كمال قدرته سبحانه (والحكيم لا يفعل فعلا عبثا، وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤدّ إلى أنه عابث في كل ما فعل)[1].

فكيف تنكرون البعث، وقد عاينتم أدلة قدرة اللّه جلّ وعزّ التامة عيانا من جعل:

الأرض ممهّدة مذلّلة للخلائق ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ كما يمهد الفراش للصبي وأنتم ترونها عيانا مفروشة ممهّدة ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ۝٤٨﴾ الذاريات.

جاء في تفسير الآيات الكونية للدكتور زغلول النجار:(لأنّ الأرض لو بقيت جبالا شاهقة الارتفاع متشابكة التضاريس معدومة الممرّات والمسالك لما أمكن العيش على سطحها فسبحان الذي أنزل هذه اللفتة القرآنية المبهرة في محكم كتابه من قبل كتابه من قبل ألف وأربعمائة من السنين وهي حقيقة لم يدركها الإنسان إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين)[2].

- الجبال رواسي كي تستقرّ الأرض ولا تتحرك ولا تضطرب ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١﴾ الأنبياء.
- الخلق قائما على الزوجية ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ أي: أصنافا ذكورا وأناثا، والزوجية سنة الله في الخلق، فكما خلق الله المخاطبين بالآية أزواجا، فقد خلق من كل شيء زوجين ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩﴾ الذاريات، والتذكير بصفة خلق الموجودات (لما فيه من دلالة على تفرد الله تعالى بالخلق المستلزم لتفرده بالإلهية ... والمراد بالشيء: النوع من جنس الحيوان، وتثنية زوج هنا لأنه أريد به ما يزوج من ذكر وأنثى)[3]، فأفاد أن خلق الذكر والأنثى من نطفة هو النشأة الأولى وأنها الدالة على النشأة الآخرة.
- النوم راحة للأبدان، فيه يهدأ الإنسان ويسكن، وتنقطع فيه حركته وأعماله المتعبة في النهار، وهو شبيه بالموت الذي تنقطع به الحياة ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ فالنوم يلجيء الإنسان إلى قطع العمل لتحصل له راحة الجملة العصبية ، وبذلك يستعيد الجهاز العصبي قواه التي

---

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- الزمخشري - ج 4 ص685.

[2] تفسير الآيات الكونية- د زغلول النجار - ج4 ص280.

[3] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور – ج 27 ص 17.

أوهنها عمل الحواس وحركات الأعضـــاء وأعمالها، فبالنوم تتجدد القوى، وينشـــط العقل والجســـم، (وفي هذا امتنان على الناس بخلق نظام النوم فيهم لتحصـــل لهم راحة من أتعاب العمل الذي يكدحون له في نهارهم فالله تعالى جعل النوم حاصـــلا للإنســـان بدون اختياره)[1]. فالقرآن الكريم (انتقل من الاستدلال بخلق الناس إلى الاستدلال بأحوالهم وخص منها الحالة التي هي أقوى أحوالهم المعروفة شـــبها بالموت الذي يعقبه البعث وهي حالة متكررة لا يخلون من الشـــعور بما فيها من العبرة لأن تدبير نظام النوم وما يطرأ عليه من اليقظة أشـــبه حال بحال الموت وما يعقبه من البعث)[2].

- الليل لباسًا تَلْبَس ظلمته الإنسان وتغشاه، كما يغشى الثوب لابسه، ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ فهو آية مشاهدة فـ(نظام الليل آية على انفراد الله تعالى بالخلق وبديع تقديره)[3] .
- النهار معاشا ينتشر فيه الإنسان لمعاشه، ويسعَى فيه لمصالحه، فلما ذكر الله جلّ وعزّ خلق نظام الليل قابل ذلك بذكر خلق نظام النهار فقال:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴿١١﴾﴾ فيه عيشـــه من طعام وشراب...
- الســـبع ســـموات متينة البناء محكمة الخلق، لا صـــدوع لها ولا فطور فيها قال تعالى:﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ﴾ (والمعنى: أنها متينة الخلق قوية الأجرام لا يختل أمرها ولا تنقص على مر الأزمان)[4]، فلما امتنّ الله جلّ وعزّ بجعل الليل والنهار من مظاهر قدرته في العالم السفلي ناسب أن يمتنّ بذكر العالم العلوي (ناسب بعد ذكر الليل والنهار وهما من مظاهر الأفق المسمى سماء أن يتبع ذلك وما ســـبقه من خلق العالم الســـفلي بذكر خلق العوالم العلوية)[5]، فبدأ بالســـبع الشداد.
- الشمس سراجًا وقَّادًا مضيئًا ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ وهي آية عظيمة دالة على عظيم قدرة الله في الخلق، وقد أوثر فعل: (جعلنا) دون (خلقنا) (لأن كونها ســـراجا وهاجا حالة من أحوالها وإنما يعلق فعل الخلق بالذوات)[6]، وقد ناسب ذكر الشمس لأنها أعظم ما في السبع الشداد؛ إذ لما ذكرت الســـموات المتينة البناء المحكمة الخلق ذكر أعظم ما فيها(ذكر الســـماوات يناســـبه

---

[1] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور- ج 30 ص 19.

[2] نفسه - ج 30 ص 18.

[3] نفسه - ج 30 ص 20.

[4] نفسه - ج 30 ص 23.

[5] نفسه - ج 30 ص 22.

[6] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور- ج 30 ص 24.

ذكر أعظم ما يشاهده الناس في فضائها وذلك الشمس، ففي ذلك مع العبرة بخلقها عبرة في كونها على تلك الصفة ومنة على الناس باستفادتهم من نورها فوائد جمة)[1].وهذه الآية كقوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ نوح.

- الماء المتصبب من السحب الممطرة ماء منصبّا بكثرة ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ ليُخرج به حبّ (والمراد بالحب هنا: الحب المقتات للناس مثل: الحنطة، والشعير، والسلت، والذرة، والأرز، والقطنية، وهي الحبوب التي هي ثمرة السنابل ونحوها)[2] مما يقتات به الناس، وحشائش مما تأكله الدَّواب، وجنات ملتفة بعضها ببعض لتشعب أغصانها(ووجه إيثار لفظ جنات أن فيه إيماء إلى إتمام المنة لأنهم كانوا يحبون الجنات والحدائق لما فيها من التنعم بالظلال والثمار والمياه وجمال المنظر، ولذلك أتبعت بوصف ألفافا لأنه يزيدها حسنا)[3]، فإخراج الحب والنبات والجنات فيه شبه بإخراج الناس للبعث يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ سورة ق. وهذا (استدلال بحالة أخرى من الأحوال التي أودعها الله تعالى في نظام الموجودات وجعلها منشأ شبيها بحياة بعد شبيه بموت أو اقتراب منه ومنشأ تخلق موجودات من ذرات دقيقة. وتلك حالة إنزال ماء المطر من الأسحبة على الأرض فتنبت الأرض به سنابل حب وشجرا وكلأ، وتلك كلها فيها حياة قريبة من حياة الإنسان والحيوان وهي حياة النماء فيكون ذلك دليلا للناس على تصور حالة البعث بعد الموت بدليل من التقريب الدال على إمكانه حتى تضمحل من نفوس المكابرين شبه إحالة البعث)[4]. والمناسبة في ذكر السحاب والمطر بالسبع الشداد قوية.

وفي ما ذكر من أفعال الله تعالى هذه دلالة واضحة على صحة وقوع البعث وحقيقته على أوجه ثلاثة:

الأول: اعتبار قدرته تعالى: فإن ن قدر على إنشاء تلك الأمور البديعة من غير مثال يحتذى به ولا قانون ينتهج كان على الإعادة أقدر وأقوى.

الثاني: اعتبار علمه وحكمته: فإنّ من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة على الخلق، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

---

[1] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور- ج 30 ص 23.

[2] نفسه - ج 30 ص 27.

[3] نفسه - ج 30 ص 27.

[4] التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور- ج 30 ص 25.

الثالث: اعتبار الفعل نفسه: فإنّ اليقظة بعد النوم نموذج للبعث بعد الموت، يشاهده كل واحد، كذا إرا الحبّ والنبات ن الأرض يُعاين كلّ حين.

ففي هذه الأدلة كفاية على حقيقة البعث بعد الموت لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ذكر الله تعالى هذه البراهين التسعة على قدرته تعالى الباهرة على إمكان البعث والنشور، فإن من قدر على إنشاء هذه الأفعال البديعة قادر على إحياء الناس بعد موتهم.

وقد ختم صاحب التحرير والتنوير تفسيره للآيات بقوله[1]: (وبهذا الاستدلال والامتنان ختمت الأدلة التي أقيمت لهم على انفراد الله تعالى بالإلهية وتضمنت الإيماء إلى إمكان البعث وما أدمج فيها من المنن عليهم عساهم أن يذكروا النعمة فيشعروا بواجب شكر المنعم ولا يستفظعوا إبطال الشركاء في الإلهية وينظروا فيما بلغهم عنه من الإخبار بالبعث والجزاء فيصرفوا عقولهم للنظر في دلائل تصديق ذلك.

وقد ابتدئت هذه الدلائل بدلائل خلق الأرض وحالتها وجالت بهم الذكرى على أهمّ ما على الأرض من الجماد والحيوان، ثمّ ما في الأفق من أعراض الليل والنهار، ثم تصاعد بهم التّجوال بالنظر في خلق السماوات وبخاصة الشّمس ثمّ نُزل بهم إلى دلائل السّحاب والمطر فنزلوا معه إلى ما يخرج من الأرض من بدائع الصّنائع ومنتهى المنافع فإذا هم ينظرون من حيث صَدروا وذلك من ردّ العجز على الصّدر).

[1] نفسه - ج 30 ص 28.

هدايات الآيات

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ ﴾ النبأ.

دلّت الآيات على الهدايات الآتية:

1- ردّ اللّه تعالى على منكري البعث، وأثبت لهم قدرته على البعث والمعاد والحشر والنشر من خلال الإتيان بما هو مشـــاهد معاين لهم وهو إيجاد عجائب المخلوقات، والقدرة على إيجاد هذه الأمور أعظم من القدرة على الإعادة.

2 - ذكر اللّه تعالى من عجائب مخلوقاته الدالة على كمال القدرة وتمام العلم والحكمة أمورا تسعة هي:

- جعل الأرض ممهدة مذللة كالمهد للصبي للسعي فيها وتعميرها وكسب الرزق .

- وجعل الجبال كالأوتاد للأرض ، لتسكن وتثبت ولا تميد بأهلها.

- وخلق الناس أصنافا ليستمرّ بقاء النوع الإنساني ويتحقق التعاون بينهم.

- جعل النوم راحة للأبدان وقطع للحركة والأعمال لتتجدد القوى، ويســتعاد النشــاط. وفي هذا امتنان على الناس بخلق نظام النوم فيهم لتحصــل لهم راحة من أتعاب العمل الذي يكدحون له في نهارهم.

- الليل لباسا ساترا. تَلْبَس ظلمته الإنسان وتغشاه لراحته وتفرغه.

- النهار وقت معاش، ينتشر فيه الإنسان لمعاشه، ويسعَى فيه لمصالحه.

- بناء سبع سماوات محكمات، محكمة الخلق، وثيقة البنيان.

- الشمس سراج مضيء وقّاد وفي كلّ ذلك خير ونفع للإنسان.

- إنزال الأمطار من السّحب الحافلة بالماء، فينزل الغيث الذي يحيي الأرض بعد موتها.

وحكمة إنزال المطر من الســحاب بأن الله جعله لإنبات النبات من الأرض جمعا بين الامتنان والإيماء إلى دليل تقريب البعث ليحصل إقرارهم بالبعث وشكر الصانع.

المحاضرة التاسعة

عناصر المحاضرة التاسعة

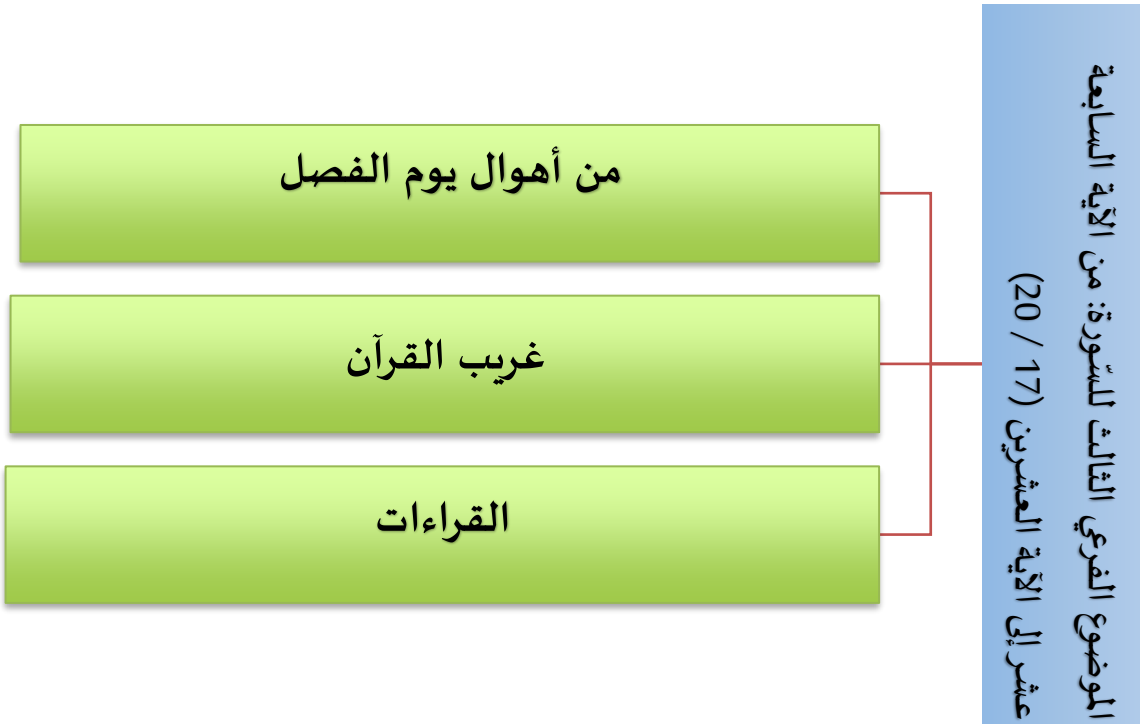

الموضوع الفرعي الثالث للسّورة:
من الآية السابعة عشرة إلى الآية العشرين (17 / 20)
من أهوال يوم الفصل

تمهيد

هذا هو المقصود من سياق ما افتتحت به السّورة فقد أكّد الله تعالى وقوع الفصل بين الخلائق وذكر بعض أهوال هذا اليوم، تعظيما له وحثّا على طاعة الله جلّ وعزّ.

مناسبة هذا الموضوع الفرعي لما قبله

هذا بيان لما أجمله قوله تعالى: (عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون) النبأ : 2 /3 . وهو المقصود من سياق الفاتحة التي افتتحت بها السورة وهيأتْ للانتقال مناسبة ذكر الإخراج من قوله: (لنخرج به حباً ونباتاً) النبأ : 15... الخ ، لأنّ ذلك شُبّه بإخراج أجساد الناس للبعث كما قال تعالى :﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ إلى قوله : ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ في سورة ق (9 /11) وهو استئناف بياني أعقب به قوله : (لنخرج به حباً ونباتاً) النبأ : 15 الآية فيما قصد به من الإيماء إلى دليل البعث .وأكّد الكلام بحرف التأكيد لأنّ فيه إبطالاً لإنكار المشركين وتكذيبهم بيوم الفصل [1].

آيات الموضوع الفرعي الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠﴾ النبأ.

القراءات

الكلمة الأولى: ﴿وَفُتِحَتِ﴾ في قراءتها وجهان:

الأول: تخفيف التاء بعد الفاء ﴿وَفُتِحَتِ﴾ وبه قرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي.

والثاني: تشديد التاء بعد الفاء وَفُتِّحَتِ ٱلسَّمَآءُ وبه قرأ: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. **قال أبو علي: (فتّحت) بالتشديد أوفق لقوله: (مفتّحة لهم الأبواب) ص: 50، وفتحت بالتخفيف لأنّ التّخفيف يكون للقليل والكثير، وحجّة التخفيف: (فتحنا عليهم أبواب كل شيء)الأنعام: 4** [2].

---

[1] التحرير والتنوير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ج 30 ص 29.

[2] الحجة للقراء السبعة - أبو علي الفارسيّ (ت: 377هـ)

توجيه: وفي الفتح عبرة لأنّ السماوات كانت ملتئمة فإذا فسد التئامها وتخللتها مفاتح كان معه انخرام نظام العالم الفاني قال تعالى: (إذا السماء انشقت) إلى قوله: (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) الانشقاق1/ 6 .

فالتفتح والفتح سواء في المعنى المقصود وهو تهويل (يوم الفصل)، وفُرع على انفتاح السماء بفاء التعقيب (فكانت أبواباً) أي ذات أبواب.

غريب القرآن

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾[1]

يوم الفصل: هو يوم عظّمه الله، يفصل الله فيه بين الأولين والآخرين بأعمالهم.

المعنى المحوري لـ: (فصل) تميّز الشيء عن غيره ، وكل (يوم الفصل) في القرآن هو يوم القضاء أي يوم القيامة. قال ابن عاشور: ويوم الفصل: يوم البعث للجزاء.

والفصل: التمييز بين الأشياء المختلطة، وشاع إطلاقه على التمييز بين المعاني المتشابهة والملتبسة فلذلك أطلق على الحكم، وقد يضاف إليه فيقال: فصل القضاء، أي نوع من الفصل لأن القضاء يميز الحق من الظلم.

قال ابن عطية [2]: هو يوم القيامة لأنَّ الله تعالى يفصل فيه بين المؤمنين والكافرين وبين الحقّ والباطل.

فالجزاء على الأعمال فصل بين الناس بعضهم من بعض، قال الطبري[3]: وقوله:(إن يوم الفصل كان ميقاتا) يقول تعالى ذكره: إنّ يوم يفصل الله فيه بين خلقه، فيأخذ فيه من بعضهم لبعض.

(كان ميقاتا): الوَقْتُ: مِقْدار من الزمان. وكل شَيْء قَدَّرْت له حينًا فهو مُؤَقَّت. وقد وَقَتَ الشيءَ كوعدَ، ووقّته بَيّنَ حَدَّه.

(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا) النبأ، أي: مَوْعدًا محدَّدًا ووقتاً ومجمعاً وميعاداً للأولين والآخرين لما وعد اللهُ الجزاء والثواب.

---

[1] سمى الله تعالى يوم القيامة بـ (يوم الفصل) في مواضع من كتابه الكريم منها:

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الصافات .و ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الدخان.

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ المرسلات. ﴿ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ المرسلات.

[2] المحرر الوجيز- ابن عطية - ج 5 ص 425.

[3] جامع البيان في تأويل القرآن- الطبري - ج 24 ص.157

قال ابن كثير[1]: (يقول تعالى مخبرا عن يوم الفصل، وهو يوم القيامة، أنه مؤقت بأجل معدود، لا يزاد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل، كما قال: (وما نؤخره إلا لأجل معدود) هود :104).

قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ ﴾

اختلف في معنى الصور على معنيين أحدهما قرن ينفخ فيه نفختان والثاني الصور جمع صورة، ينفخ فيها روحها فتحيى، وتفصيل ذلك:

ما قاله الطبريّ وما رجّحه [2] قال: واختلف في معنى: (الصّور) ...

فقال بعضهم: هو قرن ينفخ فيه نفختان: إحداهما لفناء من كان حيّا على الأرض، والثانية لنشر كل ميّت، واعتلّوا لقولهم ذلك بـ :

- قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ١٨ ﴾ سورة الزمر.
- وبالخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال إذ سئل عن الصّور: (هو قرن ينفخ فيه)[3].

وقال آخرون:" الصّور" في هذا الموضع جمع صورة، ينفخ فيها روحها فتحيى ...

وقد رجّح الطبري ما دلّت عليه الآثار قال [4] :

والصّواب من القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إنّ إسرافيل قد التقم الصّور وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ" [5]، وأنّه قال: "الصّور قرن ينفخ فيه" [6].

---

[1] تفسير ابن كثير ج8 ص 304 .

[2] جامع البيان في تأويل القرآن- الطبري - ج9 ص339و340.

[3] رواه أحمد في مسند عبد الله بن عمرو رقم: 6507 . ورواه أبو داود في سننه 4: 326، رقم: 326 من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ،والترمذي في باب"ما جاء في الصور"،وقال:"هذا حديث حسن صحيح". ورواه الحاكم في المستدرك 4: 560 ،وقال:"حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي. و"القرن" ، البوق يتخذ من القرون ، ينفخ فيه.

[4] جامع البيان في تأويل القرآن- الطبري - ج9 ص340.

[5] رواه الترمذي في باب"ما جاء في الصور" ، وفي أول تفسير سورة الزمر وذكره ابن كثير في تفسيره- ج3ص 337 .

[6] سنن أبي داود - كتاب السنة- باب في ذكر البعث والصور

وأما صاحب تفسير المنار[1]: فقد ردّ المعنى الثاني كونه من الآثار الإسرائيلية وكون اللغة العربية تأباه قال : (وفي بعض الآثار الإسرائيلية أنه مستقر أرواح الخلق، فإذا نفخ فيه نفخة البعث تصيب النفخة تلك الأرواح، فتذهب إلى أجسادها بعد أن يكون الله قد أعادها كما بدأها، **ورده اللغويون أيضا بأن المقيس في كلام العرب أن ما كان على وزن فُعلة بضم الفاء يجمع على فُعل بضم الفاء وفتح العين، كغرفة وغرف، وصورة وصور، وقد أجمع القراء على فتح الواو في قوله تعالى: (وصوركم فأحسن صوركم)** (40: 64) وأما ما جاء من جمعه بضم فسكون كبسر وبسوف فهو خاص بما سبق استعمال الجمع فيه على استعمال الواحد، وروى الأزهري هذا الرد بسنده عن أبي الهيثم، ويراجع في مادتي سورة مادتي سورة وصور من لسان العرب، فقد أطال الكلام في المسألة فيهما).

واستدلّ على صحة المعنى الأول للصور بالأخبار المرفوعة فقد أخرجها أصحاب السنن قال: (وأقواها ما رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي وغيرهم، وصححه الحاكم من حديث عبد الله بن عمر قال: سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الصور فقال: " هو قرن ينفخ فيه " وروي عن ابن مسعود أنه قال: الصور كهيئة القرن ينفخ فيه، وورد في روايات يقوي بعضها بعضا، وصحح بعضها الحاكم).

قوله تعالى: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾أي زمرا، كما في صحيح البخاري، كتاب التفسير. قال ابن زمنين : أمّة أمّة.

والفَوْج الجماعة من الناس:﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾من القبور إلى الموقف كل أمة بإمامها، أو جماعات مختلفة.

الطبري [2]: إنما قيل:(فتأتون أفواجا) لأن كل أمة أرسل الله إليها رسولا تأتي مع الذي أرسل إليها كما قال:(يوم ندعو كل أناس بإمامهم) الإسراء 71.

وفي التحرير والتنوير [3] : (والأفواج جمع فوج بفتح الفاء وسكون الواو، والفوج: الجماعة المتصاحبة من أناس مقسَّمين باختلاف الأغراض، فتكون الأمم أفواجاً، ويكون الصالحون وغيرهم أفواجاً قال تعالى:﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ الملك).

والمعنى: فتأتون مقسَّمين طوائف وجماعات، وهذا التقسيم بحسب الأحوال كالمؤمنين والكافرين وكلّ أولئك أقسام ومراتب.

---

[1] تفسير المنار - رشيد رضا - ج 7 ص 443.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن- الطبري - ج 24ص 19.

[3] التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ج30 ص 31 .

قوله تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ ﴾: وفتح السماء: انشقاقها بنزول الملائكة من بعض السّماوات التي هي مقرّهم نزولاً يحضرون به لتنفيذ أمر الجزاء كما قال تعالى:﴿ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلٗا ٢٥ ﴾الفرقان .

الطبري [1]: وفتحت السماء فكانت قطعا كقطع الخشب المشققة لأبواب الدور والمساكن، قالوا: ومعنى الكلام: وفتحت السّماء فكانت قطعا كالأبواب، فلما أسقطت الكاف صارت الأبواب الخبر... والتعبير بالفعل الماضي على هذا الوجه لتحقيق وقوع هذا التفتيح حتى كأنه قد مضى وقوعه[2].

قوله تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠ ﴾ فصارت بعد تَسييرها مثل سراب، فترى كأَنها جبال، وليست بجبال، وإنما هي غبار عظيم متراكم يحسبه الناظر إليه من بعيد جبلا، ولكنه ليس بشيءٍ كالسراب يحسبه الرائي وقت الظهيرة ماءً، حتى إذا جاءَه لم يجده شيئًا.

التسيير: جعل الشيء سائراً، أي ماشياً. وأطلق هنا على النقل من المكان أي: نقلت الجبال وقلعت من مقارّها أزيلت عن أماكنها، وأصبحت في الهواء كالهباء، (يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً) المزمل 14، حتى كأنها تسيّر من مكان إلى آخر وهو نقْل يصحبه تفتيت كما دل عليه تعقيبه بقوله:

(فكانت سراباً)[3] لأن ظاهر التعقيب أن لا تكون معه مهلة، أي فكانت كالسراب في أنها لا شيء.

سَراباً: مثل السراب، إذ ترى على صورة الجبال وليست جبالا في الحقيقة بل غبارا.

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن- الطبري - ج 24 ص 19.

[2] التحرير والتنوير- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور- ج 30 ص 32.

[3] والسراب: ما يلوح في الصحاري مما يشبه الماءَ وليس بماء ولكنه حالة في الجو القريب تنشأ من تَراكُمِ أبخرة على سطح الأرض.

المحاضرة العاشرة

عناصر المحاضرة العاشرة

الموضوع الفرعي الثالث للسّورة: من الآية السابعة عشر إلى الآية العشرين (17 / 20)

- من أهوال يوم الفصل
- المسائل الإعرابية والبلاغية
- المعنى العام للآيات والهدايات

مسائل إعرابية

1- ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ (إِنَّ): حرف توكيد ونصب. (يَوْمَ): اسم إن منصوب. (الْفَصْلِ): مضاف إليه مجرور. (كانَ): فعل ماض ناسخ، واسم كان مستتر تقديره: هو. (مِيقاتاً): خبر كان منصوب. وجملة: (كان ...) في محل رفع خبر إن، وجملة: (إن يوم ...) استئنافية لا محل لها من الإعراب.

2- ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾

يوم: بدل من (يَوْمَ الْفَصْلِ) (يُنْفَخُ): فعل مضارع مبني للمجهول.

(فِي الصُّورِ) الجار والمجرور في محل رفع نائب فاعل (يُنْفَخُ)، والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة.

(فتأتون أفواجا): أفواجا: حال منصوبة من فاعل (تأتون).

مسائل بلاغية

1- (وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ) والتعبير بالفعل الماضي على هذا الوجه لتحقيق وقوع هذا التفتيح حتى كأنه قد مضى وقوعه. التحرير والتنوير

(فَكَانَتْ أَبْوَابًا) أي ذات أبواب، فقوله (أبواباً) تشبيه بليغ، أي كالأبواب.

2- التشبيه البليغ: في قوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾.

حيث شبه الجبال بالسراب، وحذف الأداة ووجه الشبه، والجامع أن كلا من الجبال والسراب يرى على شكل شيء وليس هو بذلك الشيء.

3- (إن يوم الفصل) لماذا سمّي هنا يوم الفصل؟

وأوثر التعبير عنه بيوم الفصل لإثبات شيئين:

أحدهما: أنه بين ثبوت ما جحدوه من البعث والجزاء وذلك فصل بين الصدق وكذبهم.

وثانيهما: القضاء بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اعتدى به بعضهم على بعض.

وإقحام فعل (كان) لإفادة أن توقيته متأصل في علم الله لما اقتضته حكمته تعالى التي هو أعلم بها وأن استعجالهم به لا يقدمه على ميقاته. أفاده صاحب التحرير والتنوير.

4- العطف بالفاء في (فتأتون) لإفادة تعقيب النفخ بمجيئهم إلى الحساب.

المعنى الإجمالي للآيات

إن الناس لم يخلقوا عبثا، ولن يتركوا سدى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ المؤمنون، والذي قدر حياتهم ذلك التقدير الذي يشي به المقطع الماضي في السياق، ونسق حياتهم مع الكون الذي يعيشون فيه ذلك التنسيق، لا يمكن أن يدعهم يعيشون سدى ويموتون هملا! ويصلحون في الأرض أو يفسدون ثم يذهبون في التراب ضياعا! ويهتدون في الحياة أو يضلون ثم يلقون مصيرا واحدا. ويعدلون في الأرض أو يظلمون ثم يذهب العدل والظلم جميعا!

إن هنالك يوما للحكم والفرقان والفصل في كل ما كان، وهو اليوم المرسوم الموعود الموقوت بأجل عند الله معلوم محدود: إنّ يوم الفصـــل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتًا وميعادًا محددًا للأولين والآخرين، يفصـــل فيه الله جلّ جلاله بحكمه بين خلقه، فينالون فيه ما وعدوا به من الثواب والعقاب وهو يوم ينفخ الملك في "القرن" إيذانًا بالبعث فتأتي الخلائق أممًا، كل أمّة مع إمامهم.

ثم ذكر اللّه تعالى ثلاث علامات لهذا اليوم وهي:

1- النفخ في الصُّـــورِ، فتأتي الخلائق من القبور إلى موضـــع العرض زمرا زمرا، وجماعات جماعات، فتأتي كل أمة مع رسولها.
2- تتصدّع السماء وتشقّ، فتصير ذات أبواب كثيرة وطرقا ومسالك لنزول الملائكة، وهذا يعني تبدل نظام الكون، وذهاب التماسك بين أجزائه.
3- إزالة الجبال عن أماكنها، فتبدّدت في الهواء، فتكون هباء منبثا، يظن الناظر أنها سراب.

هدايات الآيات

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ النبأ.

أرشدت الآيات الكريمات إلى ما يأتي من الهدايات:

1- ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾﴾ يوم القيامة يوم يفصل اللّه فيه بين الخلائق فهو ميعاد للأولين والآخرين، لما وعد اللّه فيه من الجزاء والثواب.
2- ليس تأخر وقوعه دالا على انتفاء حصوله، وليس تكذيبكم به مما يحملنا على تغيير إبانه المحدد له ولكن الله مستدرجكم مدة.

3- يوم الفصل تنقطع فيه الأسباب وتذهب الآصار ويصير الناس إلى أعمالهم فمن أصاب يومئذ خيرا سعد به ومن أصاب يومئذ شرا شقي به.

4- تحدث في بداية يوم القيامة ثلاث ظواهر خطيرة هي:

الأولى: النفخ في الصور ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ فيأتي الناس من قبورهم زمرا وجماعات.

والثانية: وتفتّح وتشقّق السماء ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ فتصير كلها كأنها أبواب.

والثالثة: تسير الجبال ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴾ وتزال من أماكنها الأصلية فتصير كالسراب.

5- إذا علم العبد أنه وافد على ربه ليجد ما عمل: انزجر عن المعصية ورغب في الطاعة. فعن عدي بن حاتم ، قال : قال رسول الله ﷺ: "ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة "[1]

تطبيق حول مسألة الترجيح بين الأقوال التفسيرية في معنى الصور.

اختلف في معنى الصور على قولين أحدهما قرن ينفخ فيه نفختان: إحداهما لفناء من كان حيّا على الأرض، والثانية لنشر كل ميّت، والثاني الصّور هو جمع "صورة"، ينفخ فيها روحها فتحيى، وقد روى الطبريّ القولين فقال: واختلف في معنى: (الصّور) ...

فقال بعضهم: هو قرن ينفخ فيه نفختان: إحداهما لفناء من كان حيّا على الأرض، والثانية لنشر كل ميّت، واعتلّوا لقولهم ذلك بقوله تعالى: (ونفخ في الصور فصعق...) سورة الزمر، وبالخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال إذ سئل عن الصّور: (هو قرن ينفخ فيه). سنن الدارمي.

وقال آخرون:" الصّور" في هذا الموضع جمع "صورة"، ينفخ فيها روحها فتحيى ...

الترجيح: ثمّ رجح **وفق قاعدة: إذا صح الحديث وكان معناه يوافق معنى من معاني الآية يعتبر مرجحا لما خالفه.**

فقد رجّح الطبري المعنى الذي دلّ عليه الحديث فقال: والصّواب من القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **"إنّ إسرافيل قد التقم الصّور و حنى جبهته،**

[1] صحيح البخاري- كتاب التوحيد

ينتظر متى يؤمر فينفخ"، مسند أحمد بن حنبل. وأنّه قال: **"الصّور قرن ينفخ فيه"[1]**- سنن الدارمي.

[1] **رواه أحمد في مسند عبد الله بن عمرو. ورواه أبو داود في سننه 4: 326، رقم: 326 من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، والترمذي في باب "ما جاء في الصور"، وقال: "هذا حديث حسن صحيح". ورواه الحاكم في المستدرك 4: 560 ، وقال: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، و وافقه الذهبي. و"القرن" - البوق يتخذ من القرون ينفخ فيه.**

جامع البيان في تأويل القرآن- الطبري - ج9 ص340.

رواه الترمذي في باب "ما جاء في الصور" ، وفي أول تفسير سورة الزمر وذكره ابن كثير في تفسيره- ج3ص 337 .

سنن أبي داود - كتاب السنة- باب في ذكر البعث والصور.

المحاضرة الحادية عشر

عناصر المحاضرة الحادية عشر

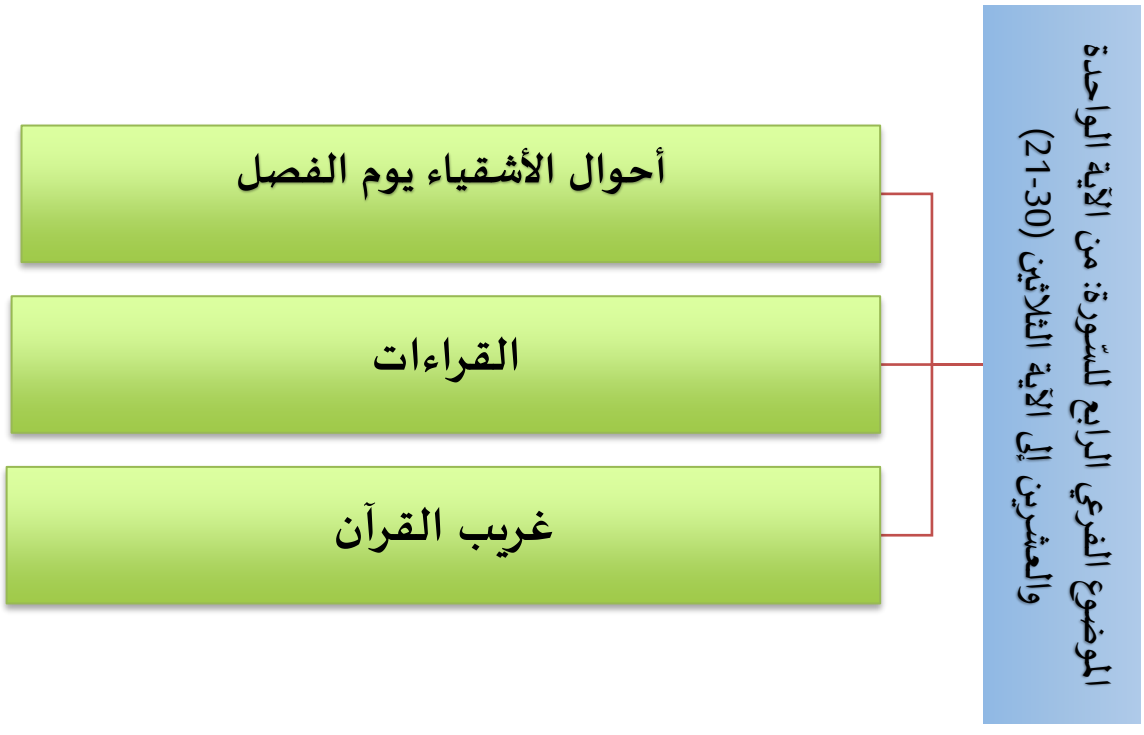

الموضوع الفرعي الرابع للسّورة

من الآية الواحدة والعشرين إلى الآية الثلاثين (21 / 30)

أحوال الأشقياء يوم الفصل

تمهيد

لما بيّن الله تعالى للمشركين أنّ يوم الفصل مؤجل لميقات يوم معلوم أخبر عما يكون فيه من أحوال الأشقياء ترهيبا مما أعدّ لهم من أليم عقابه لينزجروا عن معصيته ويرغبوا في طاعته.

آيات الموضوع الفرعي الرابع

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ النبأ.

مناسبة هذا المقطع لما قبله:

لما ذكر الله تعالى اسم يوم الفصل لهذا اليوم العظيم وما فيه من أهوال ناسب أن يذكر: ما أعدّ الله فيه للطاغين الذين لا يرجون ثوابا ولا يخافون حسابا.

القراءات [1]

الكلمة الأولى: قوله تعالى: ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ يقرأ بإثبات الألف إلا حمزة فإنه حذفها فالحجة لمن أثبت أنه أتى به على القياس كقولهم (عالم) و(قادر) والحجة لمن حذف أنه أتى به على وزن (فرِح) و(حذِر) ومعنى اللبْث: طول الإقامة. قال الفراء هما بمعنى واحد يقال لابث ولبث.

قال الزمخشري[2]: قرئ (لابثين) و(لبثين) واللبْث أقوى، لأنّ اللابث من وجد منه اللبْث ، ولا يقال (لبث) إلا لمن شأنه اللبْث، كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه.

قوله تعالى: (لا بثين فيها)يقرأ بإثبات الألف إلا :حمزة، فإنه حذفها فالحجّة لمن أثبت أنه أتى به على القياس كقولهم: عالم وقادر، والحجة لمن حذف أنه أتى به على وزن:

[1] الحجة في القراءات السبع - ابن خالويه (370 هـ) - ص 237 .

[2] الكشاف- الزمخشري (538 هـ) - ج 6 ص 299 .

فرح وحذر ومعنى اللبث: طول الاقامة [1]. قال : وهما بمعنى واحد [2].

الكلمة الثانية : قوله تعالى:(**وغسّاقا**) يقرأ بالتشديد والتخفيف: قرأ حفص عن عاصم والمفضل عن عاصم (وغسّاقا) مشددة، وروى أبو بكر عنه (وغساقا) خفيفة ،وقرأ حمزة والكسائى (وغسّاقا) مشددا، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (وغساقا) خفيفة [3].

الكلمة الثالثة

قوله تعالى :(**لا يسمعون فيها لغوا ولا كذّابا**) .

قرأ الكسائى وحده (**ولا كذَابا**) بفتح الذال خفيفة وقرأ الباقون كذّابا مشدّدة [4] .

توجيه: فالحّجة لمن شدّد أنه أراد المصدر من قوله (وكذّبوا) وهو على وجهين: تكذيبا وكذابا فدليل الأولى قوله: (وكلم الله موسى تكليما) ودليل الثاني: (وكذبوا بآياتنا كذابا) والحجّة لمن خفّف أنّه أراد المصدر من قولهم :كاذبته مكاذبة وكذابا كما قالوا قاتلته مقاتلة وقتالا [5].

قراءة الجمهور (كذّابا) بتشديد الذال في الفعل والمصدر قال الفراء: وهي لغة يمنية فصيحة [6].

غريب القرآن

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾: المرصاد: المراقب، وهو مفعال من الرصد[7] و الرَّصَدُ: الاستعداد للتّرقّب، يقال: رَصَدَ له، وتَرَصَّدَ، وأَرْصَدْتُهُ له[8]. أي: طريقاً عليه ممرّ الخلق فالمؤمن يمرّ عليها والكافر يدخلها. وقيل: المرصاد الحدّ الذي يكون فيه الرصد أي هي حدّ الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأنّ مجازهم عليها

﴿لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾﴾ للكافرين مرجعاً.

---

[1] الحجة في القراءات - ابن خالويه -

[2] مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني- الكرماني (المتوفى: بعد 563هـ)

[3] كتاب السبعة في القراءات - ابن مجاهد -

[4] كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد التميمي البغدادي .دار المعارف القاهرة ط الثانية 1400 تحقيق د.شوقي ضيف.

[5] الحجة في القراءات السبع لابن خالويه.دار الشروق بيروت الطبعة الرابعة ، 1401.تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم .

[6] معجم القراءات- ج10ص 269.

[7] إعراب القرآن - إسماعيل الأصبهاني- ص495

[8] المفردات في غريب القرآن- ص55.

﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ لَبِثَ بالمكان: أقام به ملازما له. اللُّبْث و اللَّبْث و اللَّبَث: الإقامة.
(فِيهَا) في جهنم (أَحْقَابًا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الأبد كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية ، ولا يستعمل الحقب والحقبة إلا إذا أريد تتابع الأزمنة وتواليها.
وقيل: الحقب ثمانون سنة. والصحيح أنّ الحقبة مدّة من الزمان مبهمة[1].

﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (بَرْدًا) أي: روحاً ينفّس عنهم حرّ النار أو نوماً أي: لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظلّ ولا نوم .(وَلا شَرَابًا) يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميماً ماء حاراً يحرق ما يأتي عليه.

الطبري: (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) يقول: لا يطعمون فيها بردا يبرد حرّ السّعير عنهم ، إلا الغساق ، ولا شرابا يرويهم من شدّة العطش الذي بهم ، إلا الحميم.

وعيش بارد، أي: طيّب، اعتبارا بما يجد الإنسان في اللذة في الحرّ من البرد، أو بما يجد من السكون[2].

﴿ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ الحميم الماء الحار، الغسّاق هو: ما يغسَق أي: يسيل من صديدهم .

﴿ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ جوزوا جزاء (وِفَاقًا) موافقاً لأعمالهم مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق فوافق العذاب الذنب .

﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ لا يخافون محاسبة الله إياهم أو لم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حساباً .

﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ تكذيباً وفعّال في باب فعّل كلّه فاش.

﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ نصب بمضمر يفسره (أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا)
مكتوباً في اللوح حال أو مصدر في موضع إحصاء، أو أحصيناً في معنى كتبنا لأن الإحصاء يكون بالكتابة غالباً.

﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابٗا ﴿٣٠﴾ ﴾ فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدّة الغضب (فَلَن نَّزِيدَكُمْ إلا عَذَابًا).

---

[1] جاء في المفردات في غريب القرآن-ص248.

[2] المفردات في غريب القرآن-ص117

(فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا): الذّوق[1]: وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقلّ تناوله دون ما يكثر، فإنّ ما يكثر منه يقال له: الأكل، واختير في القرآن لفظ الذّوق في العذاب، لأنّ ذلك- وإن كان في التّعارف للقليل- فهو مستصلح للكثير، فخصّه بالذّكر ليعمّ الأمرين، وكثر استعماله في العذاب.

[1] المفردات في غريب القرآن- ص332

المحاضرة الثانية عشر

عناصر المحاضرة الثانية عشر

الموضوع الفرعي الرابع للسّورة
من الآية الواحدة والعشرين إلى الآية الثلاثين (21 / 30)
أحوال الأشقياء يوم الفصل

مسائل إعرابية

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾

الإعراب: (إنّ): حرف توكيد ونصب، و (الهاء): اسم إن. (كانُوا): فعل ماض ناسخ، و (الواو): اسم كان.

(لا): نافية. (يَرْجُونَ): فعل مضارع مرفوع بثبوت النون و (الواو): فاعل.

(حِساباً): مفعول به منصوب. وجملة: (لا يرجون ...) في محل نصب خبر كان.

وجملة: (كانوا ...) في محل رفع خبر إن.

مسائل بلاغية

المسألة الأولى: (إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً) أي: معدة مترصدة ، متفعّل من الرصد، وهو الترقب؛ أي: هي متطلعة لمن يأتي، ويلقى فيها، والمرصاد: مفعال من أبنية المبالغة كالمعطار، والمغيار، والمهذار... إلخ، فكأنه يكثر من جهنم انتظارها للكفار، كما يترصد الإنسان، ويترقب عدوه؛ ليأخذه على حين غرة[1].

المسألة الثانية: وقوله (فَذُوقُوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات، وهي آية في غاية الشدّة، وناهيك بلن نزيدكم، وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة. وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أنّ الغضب قد تبالغ [2].

---

[1] تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه -الدرة 10/ 403.

[2] تفسير الكشاف - (4/ 690).

المعنى الإجمالي [1]

إنّ جهنّم كانت يومئذ ترصد أهل الكفر الذين أُعِدَّت لهم، فهي للكافرين مرجعًا، ماكثين فيها دهورًا متعاقبة لا تنقطع، لا يَطْعَمون فيها ما يُبْرد حرَّ السّعير عنهم، ولا ما يشربونه فيروِيهم ، إلا ماءً حارًا، وصديد أهل النار، يجازَون بذلك جزاء عادلا موافقًا لأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا.

فمن جرائمهم التي ارتكبوها وهم لا يطمعون في ثواب:

- أنهم كانوا لا يخافون يوم الحساب فلم يعملوا له لأنهم لا يؤمنون بالبعث.
- وأنهم كذبوا بالآيات وبالبراهين الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد تكذيبا شديدا، وفي هذا إشارة إلى فساد عقائدهم، حتّى جحدوا الحقّ وكذَّبوا بما جاءهم به الرّسول تكذيبا.

ثم أخبر اللّه تعالى عن إحصاء جميع أعمالهم: وكلَّ شيء علمناه وكتبناه في اللوح المحفوظ، ثم ذكر ما يقال لهم في التعذيب تقريعا وتوبيخا لهم:﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾:

فذوقوا -أيها الكافرون- جزاء أعمالكم، فلن نزيدكم إلا عذابًا فوق عذابكم، فهم في مزيد من العذاب أبدا. وهذه الآية من أشدّ ما في القرآن على أهل النار.

---

[1] التفسير الميسر- عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ.مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة ط 2. 1430 هـ 2009 م - ص 572 .

و انظر الكشاف- الزمخشري (467/ 538 هـ) - ج 6 ص 301 .

و التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج- د وهبة الزحيلي - ج 30 ص 383 .

هدايات الآيات

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ النبأ.

دلّت الآيات على الهدايات الآتية :

ا - إنّ جهنم هي مرصد الطغاة، ترصدهم وتراقبهم حتى ينزلوا فيها، فهي كالمنتظرة لقدومهم لأنهم تكبروا على طاعة ربهم وخالفوه في أمره.

ب – استقرار الطاغين في النار: فهم ماكثين فيها إلى الأبد ما دامت الأحقاب تتوالى وهي لا نقطع فكلما مضى حقب جاء حقب.

ج- لا يذوق الطغاة في جهنم بردا يخفف عنهم الحرّ، ولا شرابا يسكّن عطشهم .

د - الجزاء كان على وفق جرمهم فهو موافق لأعمالهم ، فإنهم كانوا لا يخافون محاسبة على أعمالهم لأنهم لا يؤمنون بالبعث، وكذّبوا بما جاءت به الأنبياء تكذيبا شديدا. وهذا دليل على أنهم كذبوا بجميع دلائل اللّه تعالى في التوحيد والنبوة ...

هـ - فمن أنكر الآخرة، لم يقدم على شيء من المستحسنات، ولم يحجم عن شيء من المنكرات.

و - (لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا)

فإن ذلك أصل إصرارهم على الكفر، وهما أصلان: أحدهما عدمي وهو إنكار البعث، والآخر وجودي وهو نسبتهم الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن للكذب، فعوقبوا على الأصل العدمي بعقاب عدمي وهو حرمانهم من البرد والشراب، وعلى الأصل الوجودي بجزاء وجودي وهو الحميم يراق على أجسادهم والغساق يمر على جراحهم. أفاده ابن عاشور.

المحاضرة الثالثة عشر

عناصر المحاضرة الثالثة عشر

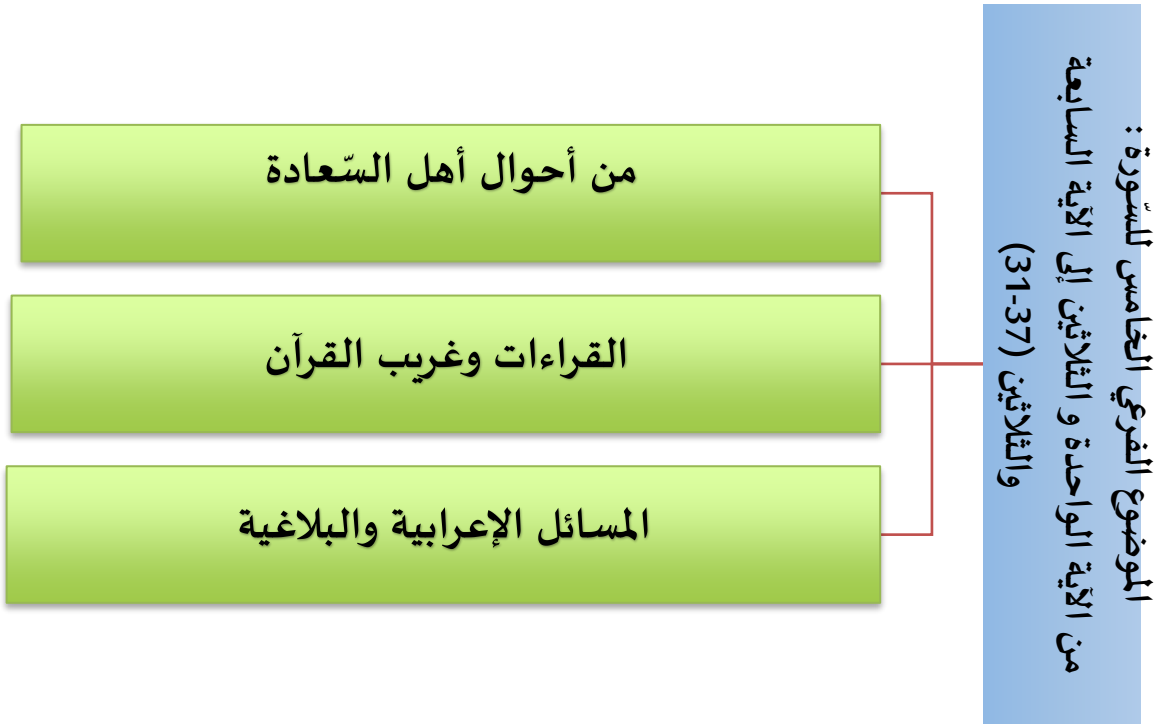

الموضوع الفرعي الخامس للسّورة
من الآية الواحدة و الثلاثين إلى الآية السابعة والثلاثين (31 / 37)
من أحوال أهل السّعادة

تمهيد

إذا كان الله قد أعدّ للطاغين مآبا مخزيا فإنه تعالى قد أعدّ للمتقين مفازا مفرحا.

آيات الموضوع الفرعي الخامس

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ النبأ .

مناسبة هذا المقطع لما قبله

لما ذكر الله تعالى اسم يوم الفصل لهذا اليوم العظيم ناسب أن يذكر ما أعدّه للمتقين بعدما ذكر ما أعدّه للطاغين ترغيبا لهم فيما عنده سبحانه، وفي إيراد أحوال السّعداء والأشقياء مجال للتأمل والمقارنة.

القراءات [1]

الكلمة الأولى: في قوله تعالى:﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿كِذَّابًا﴾: تقرأ بالتّشديد:﴿كِذَّابًا﴾والتّخفيف:(كذَابا)،فقد قرأ الكسائي (لغوا ولا كذابا) بتخفيف الذال وقرأ الباقون بتشديدها)[2] .

فالحجّة لمن شدّد أنه أراد المصدر من قوله (**وكذّبوا**) وهو على وجهين : تكذيبا وكذّابا فدليل الأولى قوله (وكلم الله موسى تكليما) النساء 164 ،ودليل الثاني (وكذبوا بآياتنا كذابا) النبأ والحجّة لمن خفّف أنّه أراد المصدر من قولهم كاذبته مكاذبة وكذابا،كما قالوا قاتلتُه مُقاتلةً وقتالا.

الكلمة الثانية: قوله تعالى[3]: ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ ثلاث قراءات:

قوله تعالى: (**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ**)، فيه ثلاثة أوجهٍ من القراءة:

---

[1] الحجة في القراءات السبع- ابن خالويه (370 هـ)- ص 237 . النشر في القراءات العشر- 2/ 397.

[2] جامع البيان في القراءات السبع - أبو عمرو الداني (ت 444 هـ) – ج 4 ص 1685. وانظر: النشر في القراءات العشر- بن لجزري-ج 2 ص 397. قال: (واتفقوا على قوله تعالى: (وكذبوا بآياتنا كذابا) في هذه السورة أنه بالتشديد لوجود فعله معه).النشر في القراءات العشر- بن لجزري - ج 2 ص 397.

[3] الحجة في القراءات السبع- ابن خالويه (370 هـ)- ص 237و238.

الأول: رفعهما بالقطع من الجرِّ الذي قبله، (رَبُّ السَّمَاوَاتِ) ابتداء وخبره (الرَّحْمَنُ).
والثاني: خفضهما بإتباع الجرّ الذي قبلهما، وهو قوله: (مِنْ رَبِّكَ).
والثالث: ومن خفض الأول أتبعه الجَرَّ الذي قبلهما، واستأنف بقوله (الرَّحْمَنُ)، وجعل (لَا يَمْلِكُونَ) في موضع خبره [1]...

غريب القرآن

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾ والمقصود من المتقين المؤمنون الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما أمرهم به واجتنبوا ما نهاهم عنه لأنهم المقصود من مقابلتهم بالطاغين المشركين .
(مفازا) منجى من النار إلى الجنة، ومخلصا منها لهم إليها، وظفرا بما طلبوا.
و أوثرت كلمة (مفازاً) على كلمة: الجنة، لأن في اشتقاقه إثارة الندامة في نفوس المخاطبين بقوله : (فتأتون أفواجاً)النبأ : 18 وبقوله : (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً) النبأ : 30.

﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ﴾ نواهد قد كعب ثديهن،(أَتْرَابًا) لدات مستويات في السّنّ.

﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ ﴾ كأسا ملأى متتابعة على شاربيها بكثرة وامتلاء .

﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ ﴾ لا يسمعون في الجنة (لَغْوًا) باطلاً (وَلا كِذاَّبًا)
و بالتخفيف بمعنى : مكاذبة أي لا يكذب بعضهم بعضاً ولا يكاذبه .

﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ مصدر أي جزاهم جزاء (مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً) مصدر أو بدل من (جزاء) ،(حِسَابًا):عطاء حسابا أي كافيا يقال أعطاني ما أحسبني أي ما كفاني
ويقال: أصل هذا أن تعطيه حتى يقول حسبي ، أو على حسب أعمالهم .

﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى إلا بإذنه أو لا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفاً منه.

[1] مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني – الكرماني- وانظر الحجة في القراءات السبع- ابن خالويه- و الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ص359 و 360.

مسائل إعرابية

إِنَّ: حرف مشبه بالفعل.

(لِلْمُتَّقِينَ): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إِنَّ) تقدم على اسمها. وتقديم خبر إن على اسمها للاهتمام به تنويها بالمتقين

(مَفازاً): اسمها المؤخر.

(حَدائِقَ): بدل من: مَفازاً أو عطف بيان عليه.

(وَأَعْناباً): معطوف عليه.

وَكَواعِبَ: معطوف عليه أيضا.

(جَزاءً): مفعول مطلق، عامله محذوف، التقدير: جوزوا جزاء

(عَطاءً): بدل من (جَزاءً) بدل كل من كل. (حِساباً): صفة (عَطاءً)

(رَبِّ): بدل من (رَبِّكَ)

مسألة بلاغية

قوله تعالى: (إن للمتقين مفازا): فيه تقديم لخبرها على اسمها؛ وتقديم خبر إن على اسمها للاهتمام به تنويها بالمتقين.

و قد أوثرت كلمة (مفازاً) على كلمة: الجنة، لأن في اشتقاقه إثارة الندامة في نفوس المخاطبين بقوله: (فتأتون أفواجاً)النبأ 18، وبقوله: (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً)النبأ 30.

المعنى الإجمالي

جرى هذا الانتقال على عادة القرآن في تعقيب الإنذار للمنذرين بتبشير من هم أهل للتبشير، فانتقل من ترهيب الكافرين بما سيلاقونه إلى ترغيب المتقين فيما أعد لهم في الآخرة من كرامة ومن سلامة مما وقع فيه أهل الشرك[1].

والمقصود من المتقين المؤمنون الذين آمنوا بالنبيء صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما أمرهم به واجتنبوا ما نهاهم عنه لأنهم المقصود من مقابلتهم بالطاغين المشركين، فالذين يخافون ربهم ويعملون صالحًا لهم فوز بدخولهم الجنة. إنّ لهم بساتين عظيمة وأعنابًا، ولهم زوجات حديثات السّنّ، نواهد مستويات في سنّ واحدة، ولهم كأس مملوءة خمرًا، لا يسمعون في هذه الجنة باطلا من القول، ولا يكذب بعضهم بعضًا. لهم كل ذلك جزاء ومنَّة من الله وعطاءً كثيرًا كافيًا لهم، ربِّ السموات والأرض وما بينهما، رحمنِ الدنيا والآخرة، لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه.

هدايات الآيات

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ النبأ .

دلت الآيات على أنّ للمتقين عند ربهم خمسة مقامات:

الأول: الفوز بالنجاة مما فيه أهل النار.

والثاني: التمتع بالرياض الغناء والحدائق أو البساتين المتنوعة الأشجار والثمار.

والثالث: الاستمتاع بالحور الكواعب الأقران في السن.

والرابع: التمتع بلذة الكؤوس الملأى غير المسكرة.

والخامس: الأمن النفسي في الجنة، حيث لا يسمع أهلها باطلا من الكلام، ولا تكذيبا لبعضهم بعضا.

[1] التحرير والتنوير- 30/ 43.

فائدة: إضافة رب إلى ضمير المخاطب مرادا به النبيء ﷺ للإيماء إلى أن جزاء المتقين بذلك يشتمل على إكرام النبيء ﷺ لأن إسداء هذه النعم إلى المتقين كان لأجل إيمانهم به وعملهم بما هداهم إليه[1].

[1] التحرير والتنوير - 30/ 47.

المحاضرة الرابعة عشر

عناصر المحاضرة الرابعة عشر

الموضوع الفرعي السادس للسّورة

من الآية الثامنة و الثلاثين إلى الآية الأربعين (38- 40)

توصيف لبعض ما يقع يوم الفصل

تمهيد

في هذا المقطع الأخير من السورة يصف الله تعالى بعض ما يقع في هذا اليوم العظيم.

آيات الموضوع الفرعي السادس

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ النبأ.

مناسبة هذا المقطع لما قبله

بعد أن بيّن اللّه تعالى كيف فصل بين الطاغين والمتقين، ختم السورة بالإخبار عن عظمته سبحانه وشمول رحمته، وأخبر أنّ يوم الفصل حق، لا ريب في الرجوع فيه إلى الله، فيفصل فيه بين المتقين والطغاة.

غريب القرآن

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾ يقوم: والقيام: الوقوف وهو حالة الاستعداد للعمل الجِدّ وهو من أحوال العبودية الحقّ التي لا تُستحق إلا لله تعالى.

(الرُّوحُ): هو جبريل عند بعض المفسرين لأنّ القرآن دلّ على أن هذا الاسم اسم جبريل عليه السلام، وذلك في قوله تعالى :﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ الشعراء.

قال الطبري: وقوله:(يوم يقوم الروح) اختلف أهل العلم في معنى الروح في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو ملك من أعظم الملائكة خلقا... وقال آخرون: هو جبريل عليه السلام ... وقال آخرون: خلق من خلق الله في صورة بني آدم ... وقال آخرون: هم بنو آدم ... وقال آخرون: قيل: ذلك أرواح بني آدم ...

وبعد عرضه لهذه الآراء والروايات الواردة في ذلك قال:

والصواب من القول أن يقال: إنّ الله تعالى ذكره أخبر أنّ خلقه لا يملكون منه خطابا، يوم يقوم الروح، والروح خلق من خلقه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله علم أيّ ذلك هو، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعني به دون غيره يجب التسليم له، ولا حجّة تدلّ عليه، وغير ضائر الجهل به)[1].

﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا ﴾: أي مصطفّين وإنما يصطفّ الناس في المقامات التي يكون فيها أمر عظيم فصفّ الملائكة تعظيم لله وخضوع له، (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا) أي صُفُوفًا. ويقال ليوم العيد: يومُ الصف. وقال في موضع آخر: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) فهذا يدل على الصُّفوف. وإنما يصطفّ الناس في المقامات التي يكون فيها أمر عظيم فصفّ الملائكة تعظيم لله وخضوع له[2].

﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ قال الرازي[3]: وذلك لأنّ الملائكة أعظم المخلوقات قدراً ورتبة ، وأكثر قدرة ومكانة ، فبيّن أنهم لا يتكلمون في موقف القيامة إجلالاً لربهم وخوفاً منه وخضوعاً له، فكيف يكون حال غيرهم.

﴿ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾ ﴾ في الكلام أو في الشفاعة.

قال في التحرير والتنوير: والإذن: اسم للكلام الذي يفيد إباحةَ فعل للمأذون... وأذِن : فعل مشتق من اسم الأذْن وهي جارحة السمع، فأصل معنى أذِنَ له: أمال أذنَه أي سَمْعَه إليه يقال: أذن يأذَن أذناً كفَرِح ، ثم استعمل في لازم السمع وهو الرضى بالمسموع فصار أذِنَ بمعنى رضي بما يطلب منه أو ما شأنه أن يطلب منه ، وأباحَ فعله ، ومصدره إذن بكسر الهمزة وسكون الذال فكأنّ اختلاف صيغة المصدرين لقصد التفرقة بين المعنيين .

﴿ وَقَالَ صَوَابٗا ﴾ أي: حقاً بأن قال المشفوع له لا إله إلا الله في الدنيا أو لا يؤذن إلا لمن يتكلم بالصّواب في أمر الشفاعة.

إلى من يعود الاستثناء [4] في قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾؟

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن- الطبري - ج 24ص 46 وما بعدها .

[2] غريب القرآن لابن قتيبة ص511.

[3] التفسير الكبير- الرازي ج 31 ص 28.

[4] نفسه - ج 31 ص 28. بتصرّف

الاستثناء إما أن يعود إلى: الروح والملائكة، وعلى هذا التقدير فالآية تدلّ على أنّ الرّوح والملائكة لا يتكلمون إلا بإذن الله، وإما أنه عائد إلى جميع أهل السّموات والأرض، والأولى أن يكون الضمير عائد إلى أقرب عائد.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾ يعني: يوم القيامة، وهو يوم يقوم الروح والملائكة صفا(الحق) يقول: إنه حقّ كائن لا شكّ فيه.

وقوله: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ يقول: فمن شاء من عباده اتخذ بالتصديق بهذا اليوم الحق، والاستعداد له، والعمل بما فيه النجاة له من أهواله، (مآبا)، يعني: مرجعا.

﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ الطبري: وقوله ﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا ﴾ يقول: إنا حذرناكم أيها الناس عذابا قد دنا منكم وقرب، وذلك(گ گ گ) المؤمن (ما قدمت يداه) من خير اكتسبه في الدنيا، أو شر سلفه، فيرجو ثواب الله على صالح أعماله، ويخاف عقابه على سيئها.

(يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ) فيه ثلاثة أقوال :

الأول: أن (المرء) عام في كل أحد ، لأنّ المكلف إن كان قدم عمل المتقين ، فليس له إلا الثواب العظيم ، وإن كان قدم عمل الكافرين ، فليس له إلا العقاب الذي وصفه الله تعالى

والقول الثاني: وهو قول عطاء : أنّ (المرء) ههنا هو الكافر ، فالمؤمن ينظر إلى ما قدمت يداه ، وكذلك ينظر إلى عفو الله ورحمته، فلا يرى إلا ما قدمت يداه .،

والقول الثالث: وهو قول الحسن ، وقتادة أنّ (المرء)ههنا هو المؤمن والحجة :

-أنه تعالى قال بعد هذه الآية، (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابَا) فلما كان هذا بياناً لحال الكافر ، وجب أن يكون الأول بياناً لحال المؤمن.

أن المؤمن لما قدم الخير والشر فهو من الله تعالى على خوف ورجاء ، فينتظر كيف يحدث الحال ، أما الكافر فإنه قاطع بالعقاب ، فلا يكون له انتظار أنه كيف يحدث الأمر ، فإن مع القطع لا يحصل الانتظار.

وقوله ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول الكافر يومئذ متمنيا لما يلقى من عذاب الله :

- يا ليتني كنت ترابا كالبهائم التي جعلت ترابا وهو المعنى الذي اقتصر عليه الطبري .
- أو لم يكن حياً مكلفاً
- أو: يا ليتني لم أبعث للحساب، وبقيت كما كنت تراباً...وهي معان محتملة والله أعلم بمراده.

قال الرازي: (مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) فيه وجهان الأول: أنها استفهامية منصوبة بـ(قدمت)، أي ينظر أيّ شيء قدمت يداه والثاني: أن تكون بمعنى: الذي وتكون منصوبة بـ (ينظر)، والتقدير: ينظر إلى الذي قدمت يداه.

مسائل إعرابية

المسألة الأولى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾

الإعراب: (ذلِكَ): مبتدأ (الْيَوْمُ): بدل من اسم الإشارة مرفوع.

(الْحَقُّ): خبر المبتدأ مرفوع

(فَمَنْ): الفاء: رابطة لجواب شرط مقدر.

(من): اسم شرط مبتدأ.

(شاءَ): فعل ماض، في محل جزم فعل الشرط والفاعل مستتر تقديره: هو.

والمفعول محذوف تقديره: النجاة. وجملة: (شاء ...) في محل رفع خبر المبتدأ: (من) .

المسألة الثانية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾

الإعراب: (إنّا): حرف توكيد ونصب، و (نا): اسم إن.

(أَنْذَرْناكُمْ): فعل ماض، و (نا): فاعل، و (الكاف): مفعول به أول.

(عَذاباً): مفعول به ثان منصوب.

(قَرِيباً): نعت منصوب. وجملة: (أنذرناكم ...) في محل رفع خبر إن.

فائدة

- حذف نون المثنى وجمع المذكر السالم عند الإضافة:

ورد في هذه الآية قوله تعالى: (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا)، الملاحظ في كلمة (يداه) أن النون حذفت منها لإضافتها إلى الضمير (الهاء) وهذه قاعدة مطردة في المثنى وجمع المذكر السالم وفي جمع المذكر السالم كقولنا (جاء عاملو المحطة).

مسائل بلاغية

المسألة الأولى[1]: (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا): يوم متعلق بقوله: لا يملكون منه خطابا [النبأ: 37] ، أي لا يتكلم أحد يومئذ إلا من أذن له الله. وجملة لا يتكلمون مؤكدة لجملة لا يملكون منه خطابا أعيدت بمعناها لتقرير المعنى إذ كان المقام حقيقا، فالتقرير لقصد التوصل به إلى الدلالة على إبطال زعم المشركين شفاعة أصنامهم لهم عند الله، وهي دلالة بطريق الفحوى فإنه إذا نفي تكلمهم بدون إذن نفيت شفاعتهم إذ الشفاعة كلام من له وجاهة وقبول عند سامعه.

وليبنى عليها الاستثناء لبعد ما بين المستثنى والمستثنى منه بمتعلقات (يملكون) النبأ: 37، من مجرور ومفعول به، وظرف، وجملة أضيف لها.

أشار أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) أنَ فحوى الخطاب هو "مايُعقل عند الخطاب لا بلفظه كقوله تعالى: (ولا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) فالمنع من ضربهما يعقل عند ذلك ".

المسألة الثانية: ابن عاشور: وفعل (وقال صوابا) مستعمل في معنى المضارع، أي ويقول صوابا، فعبر عنه بالماضي لإفادة تحقق ذلك، أي في علم الله.

[1] التحرير والتنوير- ج 30ص 51.

المعنى الإجمالي للآيات

هذا يوم البعث الذي يتمثل فيه الخلق قياما لله جل وعز وذلك من مقتضيات العبودية له وحده، جل شأنه، وليس لأحد من الخلق ذلك، وفي الحديث: (من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار) الترمذي، وإنما يصطف الناس في المقامات التي يكون فيها أمر عظيم فصف الملائكة تعظيم لله وخضوع له، وجميع الخلق كلهم في ذلك اليوم ساكتون لا يتكلمون و (لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا) إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فلا يتكلم أحد إلا بهذين الشرطين: أن يُأذن الله له في الكلام، وأن يكون ما تكلم به صوابا، لأن (ذَلِكَ الْيَوْمُ) هو اليوم(الْحَقُّ) الذي لا يروج فيه الباطل، ولا ينفع فيه الكذب، فلما رغب ورهب، وبشر وأنذر، قال: {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا} أي: عملا وقدم صدقا يرجع إليه يوم القيامة.

ذلك اليوم يقوم فيه الملائكة مصطفِّين، لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن في الشفاعة، وقال حقًّا وسدادًا، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾البقرة: 255. وقوله سبحانه: ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥ ﴾ هود ، وقوله عز وجل: ﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩ ﴾ طه.

ذلك اليوم الحق الذي لا ريب في وقوعه، فمن شاء النجاة مِن أهواله فليتخذ إلى ربه مرجعًا بالعمل الصالح.

وقد حذَّرنا عذاب يوم الآخرة القريب الذي يرى فيه كل امرئ ما عمل من خير أو اكتسب من إثم، ويقول الكافر من هول الحساب: يا ليتني كنت ترابًا فلم أُبعث.

الهدايات

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

دلت الآيات على الهدايات الآتية:

أ) الوقوف استعدادا للفصل بين الخلائق من العبودية التي لا تُستحق إلا لله تعالى.

ب) لا يقدر أحد يوم القيامة على الكلام أو الشفاعة حتى أعظم المخلوقات قدراً ورتبة لا يتكلمون إجلالاً لربهم وخوفاً منه وخضوعاً له، فكيف يكون حال غيرهم.

ج) يوم الفصل واقع حتما لا شك فيه، فالسّعيد من اتّخذ فيه إلى ربّه مرجعا بالإيمان والعمل الصالح.

د) ما أعظم الموقف حين النظر في حصاد العمر.

هـ) يتمنى الكافر يوم القيامة - لما يرى من أنواع العذاب- أن يكون ترابا أو حيوانا غير مكلّف بشيء.

خاتمة

في ختام هذه المدارسة – مدارسة سورة النبأ - في مادة التفسير التحليلي بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية العامرة يمكننا أن نخلص إلى ما يلي:

1- **إنّ أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان هي تفسير القرآن وتأويله.**

2- **إن المنهج التحليلي في التفسير يجعل صاحبه يغوص في أعماق النص القرآني؛ كلمة وسببا ومناسبة وقراءة وإعرابا وبلاغة ومعنى واستخلاصا للفوائد والهدايات، فهذا الأسلوب يوصل الباحث إلى الهدف الذي يسعى من أجله، وهو كشف اللثام عما بعُد فهمُه من النص وإزالة الالتباس، وإظهار الأسلوب المعجز للقرآن، ومناقشة الآراء وترجيح الصائب منها بالدليل، عبر خطوات منهجيه منضبطة، وربط النص القرآني بالواقع لتوجيه جوانب الحياة وفق منطلقات قرآنية، وكل المناهج التفسيرية الأخرى، إنما تنهل ممّا سطّره متّبعو هذا المنهج في تفسير القرآن.**

3- **إنّ نهضة الأمة وتوثّبها إلى المعالي وتحفّزها إلى العمل الصالح وانطلاقها في الدعوة إلى الله لا يكون إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونُظُمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة البشرية.**

4- **إننا نوصي طلبتنا بالانكباب على كتاب الله جلّ وعزّ تلاوة وفهما وتدبرا وعملا، ولا يمكن للطالب الظفر بذلك إلا إذا امتلك ناصية اللغة العربية وعلومها لأن القرآن عربي ولا يفهم ولا يتدبر إلا بها.**

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقرر البيداغوجي	2
مقدمة	4
المحاضرة الأولى	5
معنى التفسير والتأويل	6
فضل علم التفسير	11
وجه الحاجة إلى التفسير	12
المحاضرة الثانية	
مفهوم التفسير التحليلي	14
أهمية التفسير التحليلي	14
خطوات منهج التفسير التحليلي	15
المحاضرة الثالثة	18
بين يدي السّورة	19
المحاضرة الرابعة	24
المناسبات في سورة النبأ	25
المقصد من علم المناسبة	26
مناسبة سورة النبأ لما قبلها وما بعدها	27
وجه تناسب سورة النبأ مع السورة التي بعدها وهي سورة النازعات	28
المناسبة بين افتتاحية السّورة وخاتمتها	29
المحاضرة الخامسة	30
موضوع السّورة العام	31
الموضوع الفرعي الأول لسّورة النبأ: القراءات	32

غريب القرآن	34
المحاضرة السادسة	41
مسائل إعرابية	42
مسائل بلاغية	43
المعنى الإجمالي للآيات	45
هدايات الآيات	46
المحاضرة السابعة	
الموضوع الفرعي الثاني للسّورة	48
مناسبة هذا المقطع لما قبله	48
غريب القرآن	
المحاضرة الثامنة	53
مسائل إعرابية	54
مسائل بلاغية	54
المعنى الإجمالي للآيات	57
هدايات الآيات	61
المحاضرة التاسعة	62
الموضوع الفرعي الثالث للسّورة: القراءات	63
غريب القرآن	64
المحاضرة العاشرة	68
مسائل إعرابية	69
مسائل بلاغية	69
المعنى الإجمالي للآيات	70
هدايات الآيات	70

	المحاضرة الحادية عشر
74	الموضوع الفرعي الرابع للسّورة
74	مناسبة هذا المقطع لما قبله - القراءات
76	غريب القرآن
78	المحاضرة الثانية عشر
79	مسائل إعرابية
79	مسائل بلاغية
80	المعنى الإجمالي للآيات
81	هدايات الآيات
82	المحاضرة الثالثة عشر
83	الموضوع الفرعي الخامس للسّورة
83	القراءات
84	غريب القرآن
85	مسائل إعرابية
85	مسألة بلاغية
85	المعنى الإجمالي
86	هدايات الآيات
	المحاضرة الرابعة عشر
88	الموضوع الفرعي السادس للسّورة - غريب القرآن
91	مسائل إعرابية
92	مسألة بلاغية
93	المعنى الإجمالي
93	هدايات الآيات

خاتمة	95
فهرس الموضوعات	96